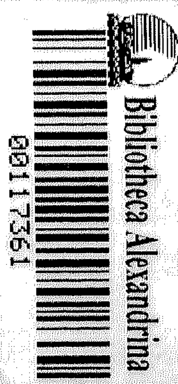
الدّكتور عبد السلام المسدّي

فتنة الكلمات



نشر وتوزيع
مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله ـ تونس







عبد السّلام المسدّي

فتنة الكلمات



مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله للنشر والتوزيع - تونس



إِلَى اللُّغَةِ الَّتِي سَمَّيْتُهَا لُغَتِي

وَكَانَتْ تَعْرِفُ أَنَّهَا لُغَتِي

وَقُلْتُ عَنْهَا إِنَّهَا لُغَتِي

وَهِيَ الَّتِي تَقُولُ الْيَوْمَ إِنَّهَا لُغَتِي



رِسَالَـــــةٌ

أيّتها اللّغةُ .

سأكونُ رفيقا بكِ لأني رفيقٌ بنفسي .

لن أُفشـيَ من أسرارِكِ إلا جميلَ أسرارِكِ .

لن أصِفَ ازدواجَكِ بين حقيقةٍ و مجازٍ .

سأقول المجازَ.

وسأسكتُ عن الحقيقةِ .

ففي الحقيقةِ أسرارٌ .

و لن أفتحَ ديوانَ الأسرارِ .

فسرّك سرّي .

و أنا الـمُـصَابُ بكِ يـومَ حَـلَّ بنا وَبَاءُ الحرفِ . يومَ الْـتَـهَـمَـتْـنَا الكلماتُ .

فالحمدُ لله أن أنْجَـانَا ـ أنا و أنتِ ـ من الطّاعونِ .



أَيَّتُهَا الْكَلِمَاتُ

جـائني هـاتفٌ من أقاصي الفجـر فأنْـــطَقَنِي بقولٍ و أوصـاني أن أقْرِئَكِ إيّـاه :

سـأُقُصّ عليكِ قصّتي بما لم تعلميه من قصّتي . و سأقصّ عليكِ فيها ما لم يَعْلمـه قبلكِ عالـم . وسأقْضـي ستّـةَ أيام أقصّ فيهـا عليكِ صباحَ مسـاءَ لا أنقطـع عن الـقَصّ إلا ساعـةَ الليـل . و بعـدها سيكون كلامٌ . و ستكون نشأةٌ أخرى . و سيكون ما لم يكن .



فَاتِحَةٌ

في البدءِ كان الصّمتُ . و قبل الصمتِ الخلاءُ . فَلِمَ الكلامُ . و كم من لفظةٍ قَتَلَتْ . و كم من سكتةٍ أنقَذَتْ . و أصحاب اللسان يتكلمونَ فيندمونَ . و أصحابُ الْعَيِّ يَحْلُمُونَ بليلة القدر عسى أن يُوهَبُوا كلماتٍ بيّنات .

و الأزهارُ تتناجى . و النّملُ يتحدث فيُفشي الأسرارَ . والأبْكَمُ حاسدٌ و محسودٌ . يَعرف أنه يُحِبّ و يَعْشَقُ . و لا ندري كيف يحبّ و يَعشق . و يَعرف أننا نتكلم . و هو على يقين أنّنا لا نعرف كيف نُحبّ ولا كيف نَعشق .

و العُشاقُ درجاتٌ . و العشقُ مقاماتٌ . و الوفاءُ مراتبُ . و أقربُ العاشقينَ إلى عرش السّماء مَنْ عَشِقَ اللّغةَ . و أولاهم بجنّة الخلد من عَشق حتى فَنِيَ وحَلّ في اللغة حُلولا . فاتّحدتْ به . واتّحدَ بها .



إشَـــارَةٌ

أيّتها اللّغةُ . أيا فُصْحَايَ. يا شاعرتي .

عندما التقينا . و دقّتْ أجراسُ السماء . بأنك قَدَري . كان اللّحَافُ يغطّي أشعارَكِ. و البــرُقــعُ يَسْتُــرُ وَجَنَاتك. أحْــبَبْتُـك كما أنت . ثم جئتـنـي إلى حيث أنا . وسألتنـي خلعَ النّقـاب . و خلعته . فأحببتُ عُرْيَ الكلمات . و انكشــافَ الحروف . و فصاحــةَ الحركــات . ثم غــابت الأسبابُ . و انقطع البيانُ . و ســاد الغموضُ . حتى رجعت تبحثين عن تأويلِ الكلامِ . ارتفع الحجابُ . و انكشفت الأشعــارُ . وتعرّى الجــيدُ . و بَانَ الهلالُ وضّــاحا مُـشْـرقا . و قلت . أيا نــاطقي . حلّتْ بالكلمات حساسيّةٌ فَاضَتْ بها جلــدتي . فجلَوتُ بعضَ الحروف . ووضعتُ عليها حركاتـــها . دَقّ النذيــرُ في خاطــري : هل زالَ البرقعُ أم ضاقَ اللّحــافُ. نـظرتُ في عينيـك . فأحسستُ بهمســة تقــول : توارَت الحقيقـةُ. و ظهر المجازُ. فسَقط القناعُ .

حَسبْـــتُك لُغَتي . لســاني و جنانـــي . فما كنت إلا لهجتي . و لا يعرف الضادَ غيري . كـلّ اللّغات سَــوَاسِـيَهْ .



بَيَـــانٌ

أيّتهـا اللغة : أراكِ أمـامي نصّـا . و أراكِ قصيـدة . فأتـذكّر الحسنـاءَ أتقصّى جمالهَا . فـأدركُهُ و أدركُها . و لا شيء يفـرّق بينها في ناظري و بين جمَالها . و أتأمّل شأنَكِ فيأخُذُني الضّـلالُ ووجهي حائلٌ . مَنْ أنتِ وَ فيمَ جَـمَـالُكِ .

النّصّ تَعَاقُبٌ و استتباعٌ . تتوالى أجزاؤه كتوالي دقّات السـاعة على الجـدار . و القصيدة تَـدَرّجٌ و استكمالٌ . ينثنـــي فيها الوقعُ على الوقـع كانثناء أنّـات القلبِ. و يتـراوح بيـن مفاصلهـا نبضٌ كتـوالي خَفَقَـاتِ الـدَّمِ و هي تمـور بين ضـخٍّ و امتصاص .

إذا تعلّقتُ بجمالِ الكائنات رأيتُ فيه بعضًا من نفسي . ثم إذا تأمّلتُه رأيتُه صورةً كاملةً ممّا في نفسي . أهيـمُ بالكائن الجميل لأنني أتوسّل به إلى نفسي . فَـأهيـــمُ بـه على قدر هيامي بنفسي .

أمّـا أنت أيّتها اللغـةُ فأجـزاؤُكِ صنيعتي . أراكِ منّـي فـأعْجَبُ ممـا صنعتُ بكِ . عَجَبي أنيّ أقتنصُ أسرارَكِ . و أنيّ بأسرارِكِ أقتنصُ النَّاسَ . فـأجـرّهـم إلى مـملكتـكِ . فـلا أبـالي أنْ نَسُـوا أنيّ المستضيفُ لهم

عنـدك . وَ أسْــعَـدُ . أنْ تـركوني وهـاموا بـك . كـذا شأني مَعَك . و على غير شأنك شأني مع الحسنـاء لا يُميتُ سُـوَيْدَاءَ غَيْــرَتِي قـاتلٌ . فهل أنت خادعتي . أم أنـا السّيّدُ . أم تُراني كَمَلِكٍ اعْتَصَمَتْ به سبيــّةٌ فَأجَـارَهَـا صُبْحـًا ولَـمْ يُمْـسِ إلا و هو أسيرها .

جَـمالُنا إذا أقـر لنا الناس به . فَأسْـلَمُـوا إليه أنفسَهم . و جمال اللغة من إيمانهم أنَّ لنا عليهم سلطانا . و أن طريقنـا إليهم فيه طريقُ اللغة . بها نَنْفَـذُ إلى خَـلَجَــاتِ قلـوبهم . و بها نستـولي على مَرَاكِـنِ عقـولهم . و بها نروح عليهم و نغدو .

جمالُ الكــائنات كلّ إذا جَـزَّأتَــهُ أفسـدت عَلى نفسـكَ مــا كنتَ مطمئنـا إليـه . و عكَّـرتَ صفوَ اللّـذة التي كنتَ تَرتشفُ . و جمالُ اللغـة كلّما جُسْتَ بين أجزائه ازددتَ بـالكلّ افتتانًـا . و ازددتَ للصّـورة التّامـّة إجلالا .

أيتها اللّغـةُ :

هل تَـأذَنيـنَ بإفشاء سرّ من أسرارك .

يوما ركّبْتُ بك قـولاً . فانساقَ لـيَ الطَّيْشُ بـالألفاظ . فَلَم أدْرِ ما كنت أعْنيـه . وَأمْعَــنْتُ . فَـتَزَيّــنَتْ صورةٌ . لم أفهمْ لها معنًى . رَدّدْتُ القـولَ فـاستطبتـهُ وعـاودتُ . فـانثـالَ فيضٌ من الـدّلالات . وَأشْعَتُ فَـقَبلُــوا . و استراحـوا . ثم سَلكـوا في النّشــوة كلّ مسلك . فَأغرانــي

عَبَـثُ الولـــيد . فظـلّتْ معـي زمـــنًا . و أردتُ تـوبةً. و استغفرتُ لديك . وَهمَـمْتُ أنْ أعْـلـنُ الذّنبَ . وأنْ أصّعّـدَعلى منبر الاعتراف . أطـهّرُ النفسَ من أعـلاقها . وأغْـسلُ بالبوحِ إثما ظلمتُك بـه . و أنا بين عزمٍ وانثناء سمعتُك و سمعتُ مَن حَـوْلَـك تُـهاتـفـينَ ، و يهاتفون :

ليس مِن عبثٍ ما صَنعتَ . إنما العبثُ مـا ستَـصْنَـعُ . فلا تُكَـابرْ . فلقد نَطَقَتْ على لسانكَ اللغةُ . أرْسَـلَتْ إليكَ واحدًا من جنودها . وَهُمْ نَـفَرٌ من الجنّ قالـوا آمَـنّا . فماهم بِمُلحدِين . فلا تَسْتَعِـذْ باللّه من طيفٍ ألَــمّ بكَ .

و من يومها . تَـزَيّـَنَـتْ لـي فتنةُ الكلمات .



خِطَــــابٌ

إليكَ أيا سيّـدي أنا أتحدّثُ . إليك أزُفّ اللّفظَ عريسا مُـخَضَّبًا .
إليكَ أنا أتـحدّثُ . حاضراً . أتحدّثُ . غـائبًا . أتحدّثُ . الكـونُ ملءُ
يَدي . أتحدّث . أوقفتُ يوما ناظري . و أمسكتُ عن الحديث . و أعلنتُ
عن حفلتـي . و مـراسمي . أستقبـلُ النـاسَ لـو لائمـي . و أشعلتُ
الشمـوعَ . و أوقـدتُ العطـورَ . ورأيتُـني أتحدّثُ . إليكَ أيـا سيّـدي أنـا
أتحدّثُ . حاضرا أتحدّث . غائبا أتـحدّث . أفْـتَـرِشُ الـزّرَابيَ . والموائدَ .
وأرُشّ رذاذَ الفـوائحِ . أتحدّثُ . وأدُقّ على الجَرَسِ القويّ . مُـؤَذّنًـا . أنّ
الضيوفَ . كـالقادمينَ . يتـزيّنُونَ . ويُفاتـحُونَ . مُهلّلينَ . يبـاركونَ .
جـاؤوا إلى حفـلـةِ الإقبـالِ . جـاؤوا و في يَـدهمْ . كهـديّـةِ الأعـياد .
فيـضٌ مـن الأزهـار . و تسـاءلـوا . أينَ الأنيسُ . و أينَ لحنُ
غنائنـا . وتقدّمتُ الخُطَى . متهـاديًا . أتحـدّثُ . وَيَـدي تُصَافِحُ . والأذنُ
تَـهْـمـسُ . و الشّفاهُ على الصّدَى . و اللّحنُ سكرانَ يُغَنّـي . وأنا الذي .
إليكَ . أيـا سيّـدي . أتحدثُ . و القـادمـونَ تكاثـروا . و الشـاهـدونَ على
الأرائك . أتحدّثُ . و طـاف بالجمعِ السكـونُ . و خرج النّـادل . فَفكَكْتُ

من يَـده الأطبـاقَ . و قلت . أنا أتقـدَّمُ. ورأيتُني . أتحدّثُ . فـوزّعتُ العقــودَ. و أسدلتُ الفواكــهَ . و صحْتُ بالـواقفينَ. دونكم أتحدّث . فتخالطوا . وتهامسوا . وقال قائلهم . هي ليلتُهُ التي . عن فجرها يتحدثُ . عن نـورهـا . يتحـدّث . هاذي ليلتُـهُ التي . نحنُ الشهـودُ . و عقـدهـا يتـواترُ. لا تَـنْـثُرُوه . وجُـمَـانُـهُ المصقـولُ. كمُـرجانِ بحـرٍ. لُؤْلُـؤُهُ الـمَحَارُ. و فيضُهُ لا يَنْضُبُ . فتنـاغموا. و تهللوا . و سمعتُني أتحدث . حتى إذا طـاف بالألـقِ النّهَـى . جـاء المَلاكُ. و انتشر البيـاض. و سَطع النور. ووجدتُني أتحدث . وامتدّت الأيدي . وتهاطلت الأكُفّ. وقلتُ. أنا أتحدّث . إليكَ أيا سيّدي أنـا أتحـدّث . وأسلمت النّفـوسُ رحيقَهـا . و طـافَ بـالكـون الخلـودُ . وتشقّقتْ فـوقي السّماءُ. و اصعّــدَتْ نحـو المعارج . في ليلتي أتحـدث ووجدتـُني . كَمَنْ هَـفَا . وَلطَيْفه . يتحدّث . ووجــدتُنــي . بيــن الخـــلائل . أسْـترَقُ الوَفَـاءْ . وأنْــسَلّ. و القلبُ واجــف ووجدتُني . أتذكَّــرُ. طولَ الخُطَى . عَـرْضَ الفُؤَادِ . إليكَ. أيـا سيّدي . أتحدّثُ.

صَـــوْتٌ

هل تَـذْكُـرُ يا هـذا. مـا أنتَ إلا يتيمُ العقل . شقيّ بحسّـه. هَـلاَّ ذَكَـرْتَ يـومَ كـان أوّلُ مواعيـدِ الأنسِ .سـاعـةَ طَـفَحَ البريقُ في هـدوء السّاكنينَ. فقالت . ألاَ تـرَانَا قـد سَـوَّيْـنَـا لأنفسنا صُـوَرًا تُفـارق الحسَّ و تتوسـّلُ بالسماء. ألاَ تَذكر كيف اعْتَصَـرَ كـلامُها في نفسـكَ رحيقـا . و انقبض قلبُكَ انقباضةً. ولم تُـخْفِ عليها شيئا . قلتَ. الومضةُ حارقةٌ. والحسُّ شفّافٌ. و النّباهـةُ من الشّيطانِ . فكيف جاءتـكِ و لم تجئني . أمِ اسْترقتِ سمعا. و قبضتِ قبضةً منْ أثَـرٍ .

ومازال الكـلامُ بكَ. و مازلتَ بـه. ولم ينفكَّ الشك يرتـادُكَ .حتى كـانَ الذي كـانَ. في آخرمـاكانَ. فأيقنتَ أنها قـد سُوِّيَتْ روحـا من غير أرواح الكائنينَ.

أيتها اللّغـةُ . منك الشّعـرُ . وأنـا صائـغُـكِ.

فَـلْـنَكْـتُبْ .

أيّتهـا اللّغــةُ. لا أقْـــدرُ أنْ أراكِ على غيرِ مـا كنتُ أراكِ عليـه. لا أقدرُ. لاأقدرُ.

و من أقاصي المفازات. حيث أذنَ للّغـة أن تَتَخَـلّقَ في تجاعيد التـّربة الصّفراء جاءني رسولُــهَا. فَتَمَثَّـلَ لي جِـنّـيّــةً تقول الشعرَ. و تُلْهمني أن أقـولَ الشعرَ. فتقـاضينا. وتلـونـا تسابيحَ اللفظ. ولم تنفكَّ تُـرَاوِدُني على قوله. و أنا كَالْـحَرُونِ. وكان الإذعـانُ أشقّ علـيَّ من قَلْـعِ الأضـــراس الحـيّة. حتّى ارتـاض بـيَ الألـمُ. فَـنِمْـتُ.

ثم تمايلتُ ثَمِـلاً على السرّيـر. و الفضـــاءُ من حـولي فسيحٌ بظُلْمـة أحبّهـــا. تمـــــايلتُ. وألْقَــــيْتُ بــــذراعي. وكـــانـت مسافـــــةٌ تَفْصِلُـني. فَمَـدَّدْتُ. و تحسّستُ. و استنشقـتُ أعلىَ الكَتفِ. و كان بلا غطاء فغطّيتُهُ. و قفلتُ نائما. وَدَبَّ نداءٌ. فكتمتُ صوتَـهُ. وتسلّلتُ إلى فضاء الظلمـــة. تـاركًا مـا تـركتُ. الـرُّبى منتفضةٌ. و اللّـون ساطعٌ. السَّــنَـمُ على الـرّبى يتشـامخ زهوا بحمـرة تكـاد تتكلّم. رمـالٌ ذهبيّـة تتجاعـد. ولاتَقَـرُّ على موج. مَـدُّهَـا إلى الهضـاب. و ارتدادُهـا إلى النهر يفـورُ. و بينهما رحلـــةٌ تَـشُدُّ الأنفـاسَ. كأنفـــاسِ غَـوّاصٍ إلى أعماق الـــلآلـيء إذا أطـــال الصـّبرَ تَـنَـامَى مَـحَـارهُ. و اشتــدّتْ دانــتُـه. و قالت. دُونـي مَشارفُ الـغَـرَق.

و تحـرّكَ النائمُ. حَالـمًـا. انفضَّـتْ سـدائلُـهُ. يحُـرّكُ الخـمائلَ مـنْ عَلَــى الأكتـاف. و الجيدُ كـأنه يَــقْفزُ. مُلاَعبًا مَنْ يَـرْقُبُ. و تَسَلَّــلَتْ أصابعُـهُ و هي نائمةٌ إلى مَفْرَقِ الجبينِ. وسَـرَّحَتِ الأشعارَ. ثم قَذَفَتْ بها

على البساط . و ابتسمتْ . فأيقظَها ابتسامُها . يقظةً استدارت بها الكتفُ . و ارتختْ الأطرافُ . كأنها الشمس بازغة . والجسدُ الجنّيُّ كالعاري . يَستقي شعاعَها على رملٍ فضّيّ . ثم اعتدلت الهضابُ . و أومأتْ تلالُها . و انفسح الموجُ . و اقتربت المسافاتُ . و استوت الأطرافُ ذاتَ اليمين تتكاسل في رفقٍ يتأذّى به فاقد الصّبر . وغَمَزت الجنّيّة وكأنها اللغةُ . وَمدَّتْ . فظننتُها قادمةً . فعرّجتُ على الجانب الأيمن . فحاضنتُها . وَمَدَدْتُ إطلالةً . و قاربتْ أنفاسي ساطع الأنوارِ . فشممتُ وَهَجًا خِلْتُهُ الكبريتَ يَصَّاعَدُ مدفوعا بشَذاَ الإصباحِ .

عُدْتُ أرَافقُ . فانتدى مَا اشْتَدَّ . وَلان اللحظُ حتى رَقَّ فارتخى الزّهو . وهَتف المَيْلُ . و خلْتُ أني أقول الشعرَ . وراحت أصابعي تَرْسُمُ الحروفَ . تُمرّرُ الأناملَ على ما انكشف من الكلمات . فكأنها بكل لمسةٍ تتفوَّهُ . و بكلّ رعشةٍ تَنْبُسُ بأوتارِ صوتٍ بليغٍ يُفْصح بلا مجازٍ .

وزاغت اللغة . وأنْشَدَ النّهرُ خريرَ الألحانِ . تسمع الصوتَ وَلا تراها .

و تَمايلَ القدُّ على البساط تقول إنه يَمشي الخُطَى و لا يتحرك .

و ظنـنتُ أنّ ما باللغة بي .

فـأضرمتُ الهشيمَ . وفـاح لِـهـيـبُهُ .

وقلتُ . صَـنَعْـتُـهَا .

فانْـتَـفَضَت الكلماتُ . وَارْتَدَتْ . و خرجتْ هاربـــةً . ثم انفلتَـتْ

كأنّـهـا السّهـمُ و هي تقـــول إنـي أثْـأرُ .

فلـم أجِبْ .

و لكنـي أفَـقْتُ .

فلـم أجِـدْ شِعْـراً .

نَغَــــمٌ

أيتها الفصحى .

مَـن شَـقّ هضابَـك . و تسلّق جبالَـك .

من ألان صخرَك . وثَـقّـفَ أشجارَك .

من فَـجّـرَ عيونَـك . وَ أسَالَ أنهـارَك . وسَـوّى بهجـتَـك .

من أغراكِ بنفسِـكِ فأخـذكِ الـتَّـيْـهُ حتـى عُـدْتِ إليه تشتكين لَحنَ العابثينَ .

قالت :

ليس في الكون مخلوقٌ إذا ادّخرتَهُ ذَوَى . و إذا أخذتَ منه زكَا . و إذا مَضَى عليه الْـحَـدَثَـان نَـمَـا . و إذا أفْـنَـيْـتَـهُ انْـبَعَـثَ .

إلاّ أنَـا .

أنَـا اللّغة .

قال . فلن تَـخْـرُجي و إن قَضَيْـتِ عمـرًا وعمرًا عن فَلَكِي . يا مَـنْ دخلت حـرّةً إلى فَـلَكِي . طـائـعـةً سائـغـةً لن تَـخـرُجي .

قالت :

إليكَ أسْلَمْتُ نَفْسـي . يامن أخْصَبْـتَني بأجنَّـةِ المعانـــي . يا مَـن

حَمَّلْتَنِي من الدّلالاتِ ما لم أحْمِلْ .
أيتها الضَّادُ.

بضفائرِ حرفك تُكَابرينَ. و بنثائر لفظك تَتأبَّهينَ . أخال أنني أصنعُك. فَتَلُقّينَ حَرُونًا. و على شفاهك ابتسامةٌ من بَنَات حَوَّاءَ. أخذتها تُحَاكينَ بها الآدميّينَ. وأنت الرُّوحُ لم تَرْكَبي جَسَدًا. تغْوِينَنِي فَأمْسكُ بك . أعْركُ عَجينَتَك . حَتَّى تَلين . أريدُ الأناملَ أن تَمُرُّ مَرًّا خفيفًا . فإذا هي تَجُوسُ غائرةً من لين صَلْصَالك .
أصْنَعُ الْمَعْنَى. وأرْسلُ به. و كُلِّي خُيَلاءُ بما صَنَعْتُ فيرتَدُّ إليَّ. و قد ابتسم له المتلقّفونَ. وَغَمَزُوا بي. و تهامسوا : لم يَدْرِ أنّه المصنوعُ. وأنّ المعنى صانعُهُ. فأكتوي بمكرهم. وأتأوّهُ بحالي مَعَك.
والذينَ أعجزْتهمْ . وَعَقَلْت لسانهم. كَبَعير ثَنَوْا ذراعَهُ. و كفارسِ النّومِ يرومُ ركضًا. هاهم تَشَرَّدُوا عنكِ. فالتفُّوا يراودونني عليك.

هاهم يقولونَ.
مفتونٌ بضَاده. فَاتِنٌ.
هاهم يُنْشدُونَ.
أيتها الضَّادُ.
الروحُ أنتِ و أنتِ الروحُ فاستمعي.

الرّوح أنت و أنت الروح فانهملي .

هونّي على سائلك . وألهميه ظنًّا يَشُدُّ به أوْدَتَهُ . وَسرّحي له الشّكائمَ . و اتركيه على بعضِ وَهْمه . أنَّهُ يَصنع فيك صُنْعًا . و يُركّبُ بك أصبَاغًا . ثم يسوّي بك تمثالا .

فإذا انتهى إلى الميعاد . ففاتحيه بلطفٍ . وَصَوّري له مرآةَ الظّلّ . و لا تخافي عليه . فبعضُ الجمال أقسى من بعضٍ .

لن يَقْذفَك برصف . و لن ينالك منه سوءٌ . فالكائنُ الْجَسَدُ أعْجَزُ من أن يُلَوّثَ بنُفَاثَته شُهْدًا مُصفًّى . فيه سحرٌ . و فيه الحجَى . فيه الوَجَعُ . وفيه الشّفَاءْ .



Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

عـلاَمَـــةٌ

أيتها العربيّـةُ.

لأنْت لـذّةٌ تُغْـري. لَلشّعْـرُ حريّـةٌ لا تُبَـالِـي. و العــزّةُ مُـدْيَــةٌ تَستأصلُ الأورامَ. أقــولُ فــــأرتوي. وأصْمُتُ فتختال نفســـي. يَرَى الجائعُ شهيَّ الـمطَاهي. فَـيُمْسكُ. و تَـمْتَدُّ الكـأسُ الـزُّلاَلُ للظّـمْآن وهو يتلوّى كَالْـمَجْمُورِ. فَيَـلْعَقُ الرّيـقَ مُتَبَلّـلا باللّطف.

ويتصَلَّبُ التَّـوْقُ. مُـخَـاتلاً. ثم يَـغْـضَـبُ. كالحليم الذي أفقدوهُ الصبرَ فلم يَـبْـغِ احتســابًا. و كعــاشق تعلّقــوا بـه. فألآنَ عـــنَـانَ النّـفـس. وأهْـدَى شكـائـمَـهَا. ثم فعل الـدَّهْـرُ فـعلَـهُ. فأنْســاهم شأنَـهُ و ما فَـعَلَ فَأقْـسَـمَ متوعّدًا. ولم يَـدْرِ أنه يكرّرُ السخـاءَ.

أنا الكــلامُ.

أنا اللســانُ.

فـوقَ كلِّ هَـوًى كبريائي.

فـوقَ كلِّ الناطقينَ شُمُوخـي.

خُلقْتُ أنــُوفًا .

سَأبـْـقَى .

لاَ أطْرُقُ الألفــاظَ مستنجـدًا .

لاَ ألْـثـمُ الأرضَ باكيا عـزَّ الحبيبِ .

أدوسُ على الحسِّ الهفـيف .

أقْبضُ الأنفاسَ لقلبٍ وَالـــه .

و أقول في صمتٍ و في وَجَـــعٍ .

لا خيرَ في شعرٍ سقــاني الْـجَوَى .

وَ أضْعف نفسـي فَـأذَلَّـني .

لا خيرَفي لفظٍ يُــجَرِّدُنـي شموخي و كبريائي .

تَـصْـغُرُ الدنيا و تعلو لغتي .

ينحني الشعرُ و تَـشْـمُخُ عزّتي .

لاشعرَ عندي إلا متى يسابقني اللفظُ في طاعتي .

وجاءت اللغــةُ . تمــشي الــهُوَيْنَـا . بألــفاظها . بكلّ الكلمــات . جـــاءت . وفي عزِ كـبْـرهَا . و جبـالُ التّيـه شاهــقةٌ . وهي نافــرةٌ . سكْرَى . مكابـرَةٌ . أقسمتُ عليهــا . وَأضْمَرْتُ يميني . لَـتَـعْرفينَ مَعي . كَـرَّةً أخـرى . حرْقَـةَ الشّعـرِ و أوجاعَ الكـلام . وَلَـتَلْثمــينَ مدَادَ اللفظ ساجيَـةً . وَلَـتَطْلُبينَ رحمةَ الأرض و هــي ظامئةٌ . وَلَــتَـهْمــسينَ . بكلّ

الجوارحِ . قائلةً . لاهثـةً . اسقِـنِي بربّ الكون . واغفـر زلّتي في الشعرِ . ما كان حقّي أن أتيـهَ . ما كان حقي أن أجُـورَ .

كُـلُّ مَا تَـأْتـيه مُـطَاعٌ . مقَــدَّسٌ . أقَبِّـلُ الأطـرافَ . و أنحنـــي .

و أقول في غير تَـمَنُّـعٍ . ماشئتَ . روحي إليكَ . و هبتُـها يَـا آسِـري .

أيتهـــا اللّغـــةُ .

أرا كِ تراودينني . وأمرُكِ نافـذٌ .

بنفسكِ لن تُـغْرِيـنِـي .

لن أقول بكِ شعراً .

لن أمَـكِّـنَـكِ من نفسي .

تَـمَـرَّدي ما شاءَ لَـكِ ألإبَــاءُ .

راوغيني كيفما بَــدَا .

ثم عُـودي فـأسْلِـمي .

فأنتِ صنيعتـي .



نَـــصٌّ

زارني يومـا شيطـانُ الشعر . وحادثني . ثم رَوَى عني مفتريا . قال .

صـــادفني على غير ارتقـاب رســـولٌ . دَفَعَتْ بــه حـرّةٌ . كـــانت تقول . كلّ الرجال قَـفْرٌ . و بعضهم قَـفْرٌ و جَـدْبٌ .

فَأسَـرَّ لـي بها أسَـرَّ . وانتَـظَـرَ . فقلتُ له . حبُّ الكلام من الهوى . و الهوى يـُورّثُ الغوايــةَ . قال . ومـا حبُّ الكلام . قلتُ . إذا تَـحـدثْتَ و الناس حولَـكَ . بعضُهم يَسمعُ . و الآخركأنما يَسمعُ . و قليلٌ منهم مَنْ يُصْغي إليكَ . قـــال . أفليس حبّ الكـلام من حبّ العبـــاد . قلتُ . من أحَبَّ الكلام أحَبَّ نفسَـه . و من أحبّ الناس أصغى إليهم .

قال . و هل تتبـدلّ الأحوالُ .

قلتُ . إي وربيّ . إذا خـاطبتَ أنيسَك وبينـك و بينـه المسـافـاتُ . فـالكـلامُ إليـه أرواحٌ مجسَّـدةٌ . و الألفـاظُ على الشّفـاه و على الخطـوط كائناتٌ تتنفّسُ . و تَرتدي الأثوابَ . و تـَـرُدُّ عليكَ الصّدى . تقولُـهـــا . و تَـلْمسُها . ثم تراودُها . فتضمـُّها . فتُـعانـقُكَ . ثم يَـلَذُّ لـك إثارتَهـا . فتثورُ . و تُـمسكُ بكَ . فتحتضنُها . و تفارقُ بها الأرضَ . و ترفعها بيديك

إلى فضاء السماء . ثم تستقبلها . و قد ضَحكَتْ إليكَ. فَتَضغَطُ بصدرك ضغطةً تُطْلق أزَّةً و لا تُفصح بالأنين. حتّى تَصيحَ حروفُها فَرَحًا. وهي تتألم. ومازلتَ بالكلمات. و هي بك. حتى تَحْسَبَ أنها غيرُ الكلمات قد حضر إليك. كما تحضر الأرواحُ. فلا تُسَلِّمُ جفونَك إلى مَنَامِ الليلِ إلا وهي في أحضانك.

قال.

فسمعتُ الحرّةَ بعدها تُرَدّدُ. و تقول . كلّ الرجال كأشباهِ الرّجالِ. إلاّ واحدًا. ولم تزد شيئا.

ثم هَجَرَتْ قومَها. و صَبرتْ على الأذى . فطلبوها. فأرسلتْ إليهم:

إذا طرأ الطارىءُ. و ارتجّتْ القواعدُ. فاندكّتْ أبوابُ النفس. و إذا ماجتْ الأركانُ. و تداعتْ الجوانحُ. فَتَمايَسَتْ أعمدة اليقين. و إذا تكاثفت سحب الشك. و تلبّدت الغيومُ. فدوّت الأعاصيرُ. حتّى لكأنّ الدنيا غيرُ الدنيا. و إذا النفس أنكرتْ نَفْسَهَا. و الجُحُودُ على الأبواب. و المقْصَلُ يهوي على ما مضى قَطْعًا وَبَتْرًا. والتاريخ سَلَّةٌ كبرى. واليد كالأظافر. تَسْتَلُّ و تَنْهَشُ. تَحْفرُ في الذات. و تغوص على الأغوار فَتُخْرِجُ ما تُخْرِجُ. و تُلقي ما تلقي. و تُعاد الساعةُ على أوّلها. يومَها قولي. أنا الفاعلةُ. يومها قولي. أنا الساعة. يومها قولي.

إني به . يومها شُدّي على المِعْصَمِ . و على المسابح . و اعْقدِي ألفًا
و ألفا . قَطَرَاتٍ من الوجد . كحبّاتٍ من اللطف . يومها قولي . ثم
قولي . إنـي أنـا .



تَرْخِيــمٌ

قال ابن الحسن .

«يا عبـدُ : الحروفُ كلُّها مَرْضَى إلاَّ الألفَ . أما تَـرَى : كلٌّ حرف مائلٌ . أمـا تَـرى الألفَ قائمًـا غيرَ مائلٍ . إنما المرضُ المَـيلُ . و إنما الميلُ للسَّقَـامِ فـَلاَ تَـملْ . »

قالت الفصحى .

في الـدلالةُ أسبحُ . وبـالإيحاء أفْـتتنُ . و عـروسُ اللفظ شاعـرة . جاءت من الصحراء . جاءت و في يـدها . قنديلٌ من الأصوات . بَحريـّةً . جَبليـّةً . أفرغتُ شبَاكَهَا . و اصْطَـفَيْتُ فصوصَها . و التذَذْتُ بصفـوها . و سبَـحْـتُ في الموج . غائصا . و جريتُ في الصحراء معانقا . لثمتُ شفاهَ الـرملِ حتى أذَابَـني . حُلْـوَ الـمَذَاق . عـاريَ الزَّبـَد . وأسْـدَلْتُ مـائلَ الشعرِ . و قلتُ للتي سَـبَحَتْ . فوقَ اللُّجَـيـْنِ . إلى الماء . فعنده خَـبرَي . ألوذُ و أطفو . كقـائلِ الشعرِ . في غَزَلٍ . و الأنفاسُ شـاديةٌ . أبحرتُ . إلى الأعماقِ . أهفو . كَـرَطْبِ النسيمِ . غاديـا في الجوّ . خَفَّتْ مُهْجتي . فـالمياهُ قصائدي . و الرمـالُ . و الأمواجُ . كَـنَسيمِ لفظٍ . ساحـرٍ . و الشواطئُ .

كلُّـها . تجـري . راياتُـها الشعرُ . و ألحـانُــها نَـغَـمٌ . و رحيـقُ صَـفْـوِي .

و الزّمنُ . يالفظي . و يا زمني .

رَدَّ ابـن الحسن .

قال

«يـا عبـدُ لا إِذْ نَ لَــكَ ثـمّ لا إذنَ لَـكَ ثم سبعــونَ مرّةً لا إذنَ لَـكَ

أنْ تَصِفَ كيف تـراني و لا كيف تدخلُ إلى خـزانتي و لا كيف تأخذ منهـا

خواتمي بقدرتي و لا كيف تقتبس من الحروف حرفا بعزّة جبروتي » .

قال الراوي .

هو ذا الخاطرُ . من أعالي البرُجِ . و الكونُ أخضرُ . والأشعّةُ بازغةٌ .

و الخالدُ . تَـجري مياهُهُ . و الصَّحْنُ يدورُ . و قلب البرجِ ثابتٌ يرســو .

و نحن طَوَافٌ . و كـذا الدنيا . بنا . تمورُ . و الخاطـر سائحٌ . واختصرْنـا

الزَّمَنْ . مـنْ عَلَىَ البرح . و قلنا قصّةَ الألَــمْ . وَحكَـتْـنَا أساريـرُ البـلَى .

وَصَفَا الخـلُّ . وَ سِيقَ الدّهرُ منْ جيد ه . و قيل للكون . حَـلّقْ بنا . وكَانَ

الذي . قدأفصـــح بإعجازه . وجـهٌ . كالصامتِ . ولَـحْـظٌ . كالتّائـه .

وبريـقٌ . خُـذُوا الدنيا و هـاتـوهُ لِـي .

أجـاب :

« وقـال لي تَعـرفُ الأسماءَ و أنتَ في بَــشَــرِيَّــتِـكَ . يأكل الخَــبَلُ

عَقْـلَـكَ . وقـال لي لِـيَحْذَرْ مَنْ عَرَفَ أسمائي من خَبَلِ عَــقْله ثم ليحذرْ

مَنْ عَرَفَ أسماء أسمائي من خَبَلِ قلبه ».

قالت :

عيدٌ من الأعياد جاء مُصَافحًا. فالمواليدُ شَتَّى. و الأعيادُ بلا حساب. وعيد اللفظ هو العيدُ. وهو بمفرده عيد الأعياد. مَوْلدُهُ الذّكرى. و الأعمارُ خالدةٌ. أنا اللغةُ. أوقفتُ عَدَّادَ الزمن. أوقفتُ عقاربي. كُبْرَى و صُغرى. أوقفتُها. عطّلتُها. ساعة الزمن. على الجدران. وفي المعاصم. و على التّلاَل. كلُّها. ساعةُ الزّمن. ساعةُ التاريخِ. تجمّدتْ. في شرايينها. دماءُ الزّمنِ. أهدرتُها. قلتُ للأيامِ. كما قلتُ للأعمارِ. هُبُّوا. و تجمَّعوا. هو البدءُ و المنتهى. و برازيخُ النُّهَى. و اليومَ. أيا لغتي. أيا ضادي و جناني. أهديك ما أُهديك. أهديك خَاتَماً. بالألماسِ مُشرْقةً. وَضَّاءَةً. تُحَوِّلُ الأبصارَ عن وجنتيك. فأنا أغار على وجنيتك. وأنا أخاف الناظرينَ. الفاتحينَ أفواهَ العيونِ. و السابحينَ. كالغرقَى. في لُجِّ الجمالِ. جمالك القهّار وقد رَوَّضَني. حتى غزاني. فأحببتُه. و استطبتُ هزيمتي. اليومَ أهديك قلائدي. أهديك. أسواري و مسالكي. أهديك خريطةً. مرسومةً. تَسيحينَ بها في الأزقَّة. في الأدغال. وفي الزوايا و مكامني. تتجوّلين و المعطفُ في اليَد. و الشتاءُ بعزّه. تتجوّلين. و الشمسُ بازغةٌ. و الغمامُ مظلّلٌ. في القيظِ. وفي العواصفِ. في الحرِّ و في الشتاء. و في

كل زمنٍ. أهديك خريطتي . و مَرَاكبي . تَطُوفينَ. في بحر الهوى . وفي العالم المسحور. وبين شوارعي . اليومَ أهديك أغنيَّةً بلحنٍ خالدٍ. بِوَهَجِ الشوق . بكبريتِ الوَجْدِ . أوقدُ الشموعَ .

أهديكَ .

ما أهديكَ

أهديكِ اعترافي .

قال .

« ياعبدُ

الحرفُ ثَاري .

الحرفُ قَدَري .

الحرفُ حتمي مِن أمْري .

الحرفُ خزانة سرِّي .

يا عبدُ.

لا تَدْخُلْ إلى الحرفِ إلا .

و نظري في قلبكَ.

ونوري على وجهكَ .

و اسمي .

الذي .

ينفسح له قلبُكَ .

على لسانِكَ (. . .)

فإذا أرسلتُكَ إلى الحروفِ .

فلْتقتبِسْ .

حرفًا من حرفٍ .

كما تَقْتَبِسُ .

نارًا من نارٍ .

أقولُ لَكَ .

أخْرِجْ ألِفًا من باءٍ .

أخرجْ باءً من باءٍ .

أخرِجِ ألِفًا مِن ألِفٍ . »

قال .

إني زائرٌ و أهْوَى . سائحٌ و الوجدُ معي . راحلٌ وَ حَقِيبَتِي .

شوقٌ وحبٌّ و أحلامْ . شاعرٌ . وأنثُرُ الدرَّ على الكلماتْ .

أيتها الكلماتْ .

أيتها الكلماتْ .

هل تسمعينْ .

هل تسمعينْ .

أنا ما تعلّمتُ أنصافَ الحلول . خُذيها أوْدَعيها . لا شيء بعد اليومِ أنْكرُهُ. ولاأبيٌّ على الأشجانِ يَنْكسرُ. أنتِ اللغة . أنتِ اللغة .

قال .

« يا عبد .

ما قلتُ لكَ ذَلِكَ .

حتى هَدَيْتُكَ لذلِكَ .

فرأيتَ ذَلِكَ .

رآهُ قلبُك .

و عرفتَ ذَلِكَ .

عَرَفَهُ قلبُك .

يا عبدُ .

ما لأفكاركَ .

تنعطف على أفكاركَ .

وما لِهمومِكَ .

تَبيتُ و تُصبحُ .

في هُمومِكَ » .

[illegible]

يُـحكَى أنّ امـرأةً من ذوات الأسرار كـانت فيما مضى لها من أيّـام العمر إذا تحدّث النـاس عَنِ الصَّـبَابَة تَأوَّهتْ. و إذا تحدثـوا لها عن الجمال تنكّـرتْ. و إذا جـاء ذكْـرُ الـرّجـال التفّت على نفسهـا . و انقبض منهـا الجسد. وامتدّت الخلجات . و ابتسمت . كـأنما تريد ضَحكًا يُلقي بها على مَدَد. و كانت تخلوكلّ ليلة فـلا تنفكّ هائمةً حتى يَحضر لها من عالَـمٍ لا تعرف مَوْرِدَه رسولٌ يتمثّل إليها بهيئة نـافث الشّعر. فتخاله ملاكا مُلهماً. و كانت تَـرْفُلُ بـه . فيقول . حدّثيني بالذي تَـجِـدينَ. و ماهي إلا رهبةٌ حتى تَـقُـصَّ عليه قصتَّـهَا مع الأحشاد . ثم تَـلْعنهم . فينصرف .

و في ليلة دَعَـتْـهُ فَـأبَـى. فَسكَنَـتْ إلى عزلتها . وقالت . هذا نذيرٌ . ولَـمْ تكتـرثْ.

فلقد نال الزمانُ من عزمها حتى ارتاضت جَـلَـدًا .

فاستلقَتْ. وأغْمضتْ. ولم تكن من حولها الأنوارُ. وقالت . ما بالُ النـاس واهمينَ. ما من أحـدٍ يروح و يجيءإلا و أنـا عنده من أسعـد خلق الله . يـراني على خُلُقٍ يَفعل في النفـوس فعلَ الآخذيـن . ويَشهد مـا يعتري

الوجنةَ منّي . فيُشْفقُ إشفاقا يَعزُّ عليه . و يراني على يقظة ليست كيقظة حَوَّاءَ . حتى إذا ضاق أمري أبديتُ انشراحا . و ما هو بالانشراح . وإذا اغترَّ الناس بي أفضْتُ عليهم من رحمتي . و النار تلتهب في جوانحي . أكتم الغيظَ . وأقولُ . قَدَري .

و مرّت الأيّامُ .

وازدادتْ الأيّامُ .

و أبرمتُ في دُنْيَايَ عَقْداً قلتُ لا ينصرمُ .

هي ذا الحياةُ .

أنسْتُ بَشرّهَا .

حتى قلتُ هي لي . وهو منها .

أقْبلُهَا كارهةً .

و أطَهّرُ ما تَجيئني به .

أغْسلُ الأدرانَ .

وأصْمُتُ .

وارتضتُ بها أنا عليه . وارتاض بي . و أنساني اليأ سُ كلَّ أدعيتي . فلم يَبْقَ لي منها إلاّ دعاءٌ كنتُ أردّدهُ كلما حَلَلْتُ بين السّواد يَغْدُونَ و يَرُوحُونَ . فأقول . اللّهمَّ إن الصّمتَ عبادةٌ . اللّهمَّ إنّ الصّمتَ عبادةٌ . و كنتُ أحرّكُ به لساني . و لايُسْمَعُ لي منه صَدّى . حتى كَشَفَتْ أمري

كاهنةٌ . فَلاَ بَسَتْني . وَ قَرَأَتْ تَمَائمَهاَ . تُميط اللّثامَ . و أنا في عزلتي . كأ نَّ بيني و بينهـا الأمَدَيْنِ . و كنتُ أقولُ . إنْ هي إلاّ واحدةٌ من السواد .

فَحَمْلَقَتْ و زمجرتْ و اعترى و جهَهَا الغَضَبُ و انبثق من مقلتيها شَرَرٌ كاللّهَب . و قَبَضَتْ على مَرْفِقي قبضةً أوجَعَتني . وما حَلَّ بالنفسِ أعظمُ . فرجعتُ نفسي إليها و كأنها من الأدغال . و سافرتْ بي فقطعتْ بَرًّا في رَحِمِ الأمزاج . ولما رأت في عَيْني بريقا اطمأنَّتْ و ضَمَّتْني إليها . ثم أمسكتْ مني الكتفين و تنحّتْ بوجهها عن وجهي و أسدلتْ ثوبي و ثوبها و طأطأتْ بالرأس و انتظرتْ حتى فعلتْ فعلها فقالت في صوت حنينٍ كأنه آهةُ الوضعِ تتلو أنّةَ الأوجاعِ والأمُّ يَقْظَى و الوليدُ على الفراش : سيأتي من يُبَدّلُ حالَكِ و لا تَشْعُرينَ .

و مضتْ و تركت في نفسي ما إنْ سألتُها عنه حارتْ جوابًا .

ونَسيتُ أمرَها .

ولا أذكر لها إسما .

ودارت الأفلاك . ولا يمزّقني الآنَ أمرٌ كما تمزّقني غفلتي عنها . تتآكلني الحسرةُ أنْ فرّطتُ في حبل الأسباب لها . وَعَليَّ ملءُ الأرض لو أنّ بصيراً أرْشَدَني اليومَ إليها فأضُمَّهَا وأقَبّلَ منها الجبينَ .



صـــدادٌ

مِن النـاس مَنْ يُـفْـتَنُ في مَالـه . و منهم من يفتن في إيمانـه . وقـد يُمتحن المرءُ في بَدَنـه . وقد يُبْتَلَـى في عقله . ولقد فُتِنْتُ في كلمـاتـي . و الفتنة دخولٌ إلى النار تَصْـهَـرُ الذَّرَّات و تَصْقُـلُ فتخَـلّصُ من الأدران .

و العشقُ فـتـنةٌ للمرء فإذا المـرءُ في عشْـقـه فـإمَّا إلى انتحارِ الذات بحُبِّـهَـا و إما إلى خلاصها به إلى الأبَـد .

فَـأنعـمْ بها من فـتـنةٍ إن كان الخلاصُ مـآلَـهَا .

قالت الكلماتُ :

تَـاللَّه إنكَ لمحبٌ لِـنَفْسكَ . مُغْرمٌ بها . مفتـونٌ فيهـا . متهافت على ما يُـرضيها .

قال :

إي وربِّ السّماءِ .

قالت :

ألا تراكَ متعلّقا بحبّ من أحبّكَ أكثرَ مما أنت هائمٌ بمن أحـبّك .

قال :

لستُ أدري . ولا مُنَجّمَتـي تدري . ولكنّ الذي أدري أني ما عرفت نفسي إلا يوم عَرَفْـتُك . عرفتـُها في سرّها وفي نجواها . عرفتها على أسْـنَامِ قوّتها وفي سُفُوحِ ضَعْفِهَـا . عرفتـها في كبريائها و فـي انعطافـها . وفـي خُيَلاَئها وزهوها كما في لينهَـا و انسياب أطرافها .

رُحْـمَـاك .

رفـقـًا بالرّضَـى .

رفـقًـا بـلـين الحُـلَـماء .

وسأل ابـنُ دُلاَمَـةَ أمَّـهُ عن سعير الغضب فقالت :

الغضب فتـنـةٌ فلا تصطـنعْهُ . فإن غَلَبَ عليكَ في خيرٍ فَـهُـوَ خيرٌ فاستعن به على تطهير النفس من أدرانها وَ صَفَـاء السريـــرة من غَلْوائها . و العُشّاق أشـدّ الناس غضبا و أسرعهم إليه فلا يلومَـنّهم أحدٌ فيه . وإنما ترى الـواحد منهم يُكَابـر فَـتَعـزُّ عليه نفسُـه حتى يسوء ظنّه بـالعشق فلا يَعْلَمُ الناسُ إن كان عاشقا أو كان مُصَانعًا حتى إذا غَضبَ انكشف الغطاءُ وانجلت الحُجُبُ فَبَانَ منه ما كان مُـخـتفيـًا .

قالت دُلاَمَةُ : وهذا من أعظمِ أسرارِ الغضب و من أجَـلِّ فضائلـه .

ثم سألتُ بركـانَ الغَـضَب :

مَن أشعل نيرانَـكَ . من أضرم لهيبك و أطـال حريقك . من يـاتُرى أوْقَـدَ تَـنُّـورَكَ و فَجَّـرَ أفرانَـكَ . و من الـــذي سَـلَّطَـكَ فأمسكت بَـــي

و استعبدتَ فؤادي . ومن أوْقـع بيننا فَـرِكبـتَـني كصهوة الجيـادِ .

قال :

لا تسألْ . فَـحُمَمِي تـُخْصِبُ الأرضَ فتـتـدفّقُ بها حُبـلىَ وَلُودًا جنينـُها الحبُّ يُـبعث بعثـا جـديـدا . وتُسقَـى بِـرُغَائهاَ شرايين القلب فَـيَـنْـبُضُ بما كان يَـنْـبُض به حتى الأزلِ .

قلت :

لَـبَّيْـكَ يَـا غَـضَبـِي .

لـبيّـكَ يا غـضبـي .



حَـرْفٌ

سئل الملائك أنَّ أهل الأرض قد استحدثوا من الأنا لفظا أطلقوه على من أحبَّ نفسَه وآثرها على من سواها .

قالـوا : دأبُ أهل الأرض عصيانُ خـالقهم . فقد وَضَعَ لهم الأنثى ولم يجعل لهم لفظا . ووضع لهم اللغـةَ وجعلها أنثى .

هي تُـحِبُّ فلا حبَّ كحبّها . و هي تتهافت حتى لهي إلى الفناء عالقة بـالعَدَمِ . ثم هي تُـحِبُّ حُـبَّهَـا . كحبّهـا من أحبّهـا . تَـلُوكُ اللّفـظَ . وتَعْلكُ الأوصافَ . وتُـحَـلّـي الـمَـرَاهِمَ. وبيدها تَـصنع الْـبَـلاَسِمَ. تُـضَمّدُ ماحَـفَـرَتْهُ علَى الجَسَـدِ. وتُـواري مـا نَقَشَتَـهْ ُعلى الـرُّوح من الـمَغَارِز.

مملكتُها من هـروبِ الناس عن أحـوازهم . وعـرشُها من خـوفهم المكرَ واتقائهم مذلّـة الأسْـرِ وسـوءَ الإفصاحِ. والقوّةُ لها أنْ تُـمسكَ بمن حَـوْلـها من مقابض الـوَهَـنِ ومَـرَابِضِ الأوجـاعِ .

عَـلّمَـهُمْ بعضَ ذلك أبوهـم يـوم نزل إلى الأرض ونزلت حوّاءُ فراح يبحثُ نهارا ويَسْـتَجمُّ ليـلا . وظلت سـاعيـةً بـالليل و النهـارِ حتى إذا

تصادفا على الجبل أمسكتْ حيث كانت . وجرى مهرولا . فأخبر صادقا .

وقالت : منذ السّماء لم أبرح موطئي .

وما نَسيَهُ الأبُ أكْمَلَهُ الأبناء . فتفننّوا في الطاعة ومهانة السؤال . وكلّما أمْعَنَ الواحدُ منهم ظَنَّ نفسَه الفتى وهو الطفلُ لا يَبرح أعتابَ المَرَاضِع .

أفّ لرجال كأشباه الرّجال .

وَسُحْقًا للأطفال يجودونَ بغير ما يَطْلُبُ الطالبُ . وَهُمْ على الوهمِ أنْ قد جادوا بما يَطلب الطالبُ .

وتَبًّا لصبية يَبخلون بأيَسرِ ما وُهِبُوا وهو الكنزُ المطلوبُ و المُبْتَغَى الموعودُ .

فكَتب كبيرُ الملائك على بعض ألواحه :

لو كانت الأنثى ذَكَرًا و الذكر هو الأنثى لاشتكتْ منه إليه أكثر مما يشتكي اليومَ منها إلينا .

خُلقَ الإنسانْ ما أكْفَرَهُ .

ليته اكتفى بما خَلَق اللهُ ولم يَستحدثْ لفظًا .

فتنةُ هذا من فتنة تلك .

دَلاَلَـةٌ

يالغـتي . ياشـاعرة .

سمعتُ فيما يَسمع النائمُ هـاتفا جاء يُـخْبرني أنك يـوما ضحكت . وارتفع منك الصوتُ . وأنا غائب . فلما رأيتُـك وعرفت ماجاءني أرسلت أنصافَ الجُـفون . وتوسدت ذراعي . وطلبت الأناملَ . فراحتْ تهدهدُ . ومـرت على الـوجنـة . فـاعتلتْهـا حمْرةٌ لم أر في حيـاتي لـونها . وأطبقت النـواظـرَ . وهمّتْ بفمي منك الشفـاهُ . فأبطأتُ بـك . حتى فَـزعْت . وجَلَـوْت الأبصـارَ . مُـحمَّرةً . تتبلّل . فـأرسلتُ فمي . فطلبت ظـلامَ الصّمت . فأعطيتُـك نورا . وأشفقتُ عليك .

فناديـت :

ظمأى إلى لَـفْظكَ أُنْـشدُهُ . ظمأى إلى نخلكَ أقطـفُـهُ . الحرفُ نَبضٌ و الـمـدَادُ على الصَّـدَى . و النفسُ حَـرَّى . و البـوادي . ولـواهفي . كـؤوسُ المفـازات تَـقَاطَرُ كـالنَّـدَى . ولسـتُ أدري . هل في اللفظ سَـصْـرَعُنَا . أم القلوبُ على الأوتـار ترتجفُ . أم السرّايا . أم الأوجاع على الأفواه تبتسم . مفَـاتن اللفظ تهادت . ويسترقُ المنادي . ويعيـد منشدا .

إلى اللفظ الرقيق أنـا الظمآنُ أقرأهُ إلى الحرف الجميل أنا الفنـان أصبغهُ. إلى الـوجـه الصَّـبُوحِ. إلى النور المضيء. أنـا اللّهفـانُ. لهفي على الأشعـار أغْـزلُـهَـا. وعلى الضفائر. تَـمرّ يَدي. تهدهدها. إلى سَعَفِ النخيلِ. أليـافٌ مُذهَّـبَـةٌ. خيـوطٌ تترامى. بأصبـاغ الحروف. إلى الكلمات. بمسك نَـدَاك. أملـؤُهـا. إلى خفقـات القلب. أسمعُهـا. إلى نَبـَضَات اللَّحظ. وهـو يرتعش. إلى الوَجَفَـات. أرْقُـبُهَا. لهفي على لغتـي. حبّا يعانق الألفـاظَ. مُذْ بَـزَغَتْ. نجمةُ الأعراب فـاتنةٌ. رَبَابُـهَا الشعرُ. وهي نائيـةٌ. فمتى الألفاظ تـزدهرُ. ومتى الأمصـارُ تقترب. وتزولُ عن لغتي الشكوكُ. وينطلق اللسـانُ مُـجَـدَّدًا. فَـتَقْـتَـرِبُ الأمصارُ. وتُلْقَى على الأبحارِ. جسـورٌ ذارعاتْ. تَـلُـفُّ الـمَخاَصرَ. قـدودًا مائسـاتْ. ويلينُ لك الطَيفُ العنيـدُ. و الشعـرُ أكبرُ. كم في اللفظ من عَجَبٍ. ملْءَ القلوب. كـوحدة الأوطـان في وطنٍ. ياوحـدتي. ياوطنًـا. يالغتي. لا الشعـرُ منك يُرضينـي. ولا الإيقاعُ بعيـدًا عنك يَـرْوينـي. ولا الكـونُ يَـصفُو إلا متـى الألفاظُ تَـتَّحدُ. وينبـثقُ اللفظُ الكبيرُ. فمتـى الأجراحُ تندملُ. ومتى الأطيافُ ترتحـمُ. فيؤوبُ لي رُشْدي الذي. على صَفَحَات اللفظ ينتشـرُ. وبين ضِفَـاف النخلِ. يـزدهـرُ. وتـؤوبُ لي لغتي التي. كألف سَنًى في ربيعِ عُـمْرِيَ تـأتَـلقُ.

تَرْتِيلٌ

إليكَ أيا سيّدي .

إليكَ أيا ناطقي . يا متكلّمي .

أنا اللغةُ . إني أنا العذراءُ وإن صُحبَتْ . مازلتُ بجوهري المكنون هازئةً بالشعراء. بالحكماء. بسخائهم يُسيلُونَ من الأمهار أوديةً . ومن الأشعار أفئدةً. يَجْرُونَ . وهم لاهثونَ . وراءَ المحار و الأصداف . حتى إذا مافتحُوا . بابَ القلاعِ وابتَهجوا . بالنّصر. بالكسب . باللّذة العَجْلَى. عادوا إلى نَشوة اللفظ . على الأكتاف أرديةٌ . من لُجَيْنٍ ومن ذَهَب. والوهمُ قَاتلُهُمْ . فازوا بتلْكُمُ الأنثى. وقد كَسَبُوا. كأسَ المواسمِ. والصّدورُ تُوَشّحُهَا. دوائرُ الأذهابِ. ومافطِنُوا . وماعرَفُوا . مفاتحُ القلبِ. في غير ما قَصَدُوا. مفاتحُ القلبِ, والألبابِ. سيّدُها . أميرُ اللفظ . فارسُ الأحلامِ. صانعُ العشقِ. نَاحتُ الأمثال . إلى البيان . وفتنة الكلماتِ. كلُّ العَذَارَى . والطائرات . والفراشات . تَنْجَذبُ. حتى تذوبَ. بضوء النورِ .بنار الوجد. وتُعْلنُهَا. وتقولها . على طول المَدَى. إليكَ يا مَلكي .إليكَ أيا سيّدي .إليكَ. أنا العذراءُ. إليكَ

دمي. فـارتشفْ على قَدَحٍ. واسقنـي من دمـي. فـلا النـارُ وأنتَ مني بحـارقـة. ولا الأنـوار في غيرِ وَجْـدكَ سـاطعـةٌ. فـالنـورُ أنتَ. و النـارُ وجدُكَ. و اللهيبُ. لهيبُ لفظكَ. وأنا فيكَ فانيةٌ. فلا تَـرْحَمْ. عليكَ بي. عليكَ بي. فذاتُ الأشجانِ تأوَّهَتْ. فَشَكَتْهَا الـزَّفَرَاتُ. مُرْهَفٌ قَـلْبـيَ و الأوجـاعُ تلتهبُ. و الصـوتُ مُنْخَنـقٌ وتلكمُ الأنفاسُ. ويجثـمُ الخوفُ. داعيًا متبتّلاً. ويلـوحُ في الأفُـقِ الـمَرَامُ. الأزهـار تَلْمَسُني. وأشجـارُ الـربيعِ. والصـدرُ مُنتـزَعٌ. والطّـائرُ الخفّـاقَ. أوّاهُ يَشـدُّني. جَنـاحَـانِ في كَبِـدي. و السماءُ. و الغـربُ. و الشّـفَقُ اللّمّاعُ. وبحـار الموجِ. وتهـاليـل الصّبـا. و الماءُ مُفتـتنٌ. وتُشرقُ الشمسُ. هـاتـوا الفَـنَاءْ. هـاتوا المغاربَ. ولْـيَسْكُت الصوتُ. ليمتـدَّ الـهوَى. والرَّجعُ قادمٌ. وفي الليلة الظلماء. يَصْمُدُ الثائـرُ. ويثوبُ الصابرونَ. والتائهونَ. و العـائدونَ بـرَجع الصَّدَى. و الـمُقْسمُونَ. تـالله لراجعـونَ. وليلـةَ الـرحيلِ. دموعٌ ذارفـاتٌ. و الكُحلُ مغتسلٌ. وأوديـةُ السَّـراب. تَقـرأُ الكفَّ. قلـوبٌ وقلـوبْ. ستائرُ الـرّوضِ. وألـوانُ العطـور. أعناقُهـا الجيدُ. والروابط تلتـوي. وتزهـو بها الأشواقُ. و الأيـادي الواثقـاتُ. تُغـازلُ الثـوبَ. والمرآةُ بـاسمـةٌ. وتَـخْجَلُ العينُ. ويمتـدّ الحديثُ. والخناجر واجفاتٌ. وفي كلّ صباحٍ. وثـاقٌ جديدٌ. وزوابط الأعناق قيدٌ محبّبٌ. وتحلو الملابسُ. و النواظرُ سائلاتْ. خفّفِ الوطءَ. أفلا تُغَنّي.

ويحتفلُ الجمعُ. وَيَطْلُعُ البَدْرُ . ويصيحُ بِالْـمَـلإَ الوَدُودُ. ما بـالنا نَـقطع الأيدي. فيوسفُ هاهنا. وزُليخاءُ اليَمَن. على العرش مالكةٌ. والصرّحُ الممرَّدُ. و المليكُ الشامخُ . لُـجَّةٌ من قـوارير . ويَدخل التاجُ. ويأتي على سَبَإٍ . يـوسفُ و الأميرْ. وتأتي الهُوَيْـنَا . وتَـحْمَدُ العَرشَ. داعـيـةً. أفٍّ لهـمً . فيوسفُ أنتَ. وأنت السُّـليمانْ .



لَـهْجَـةٌ

أيتهـا الأنثى. مـاأنت إلا لهجـةٌ. صَـه. لك عنـدي صـورةٌ . لاتتحـدثي . أخشى عليهـا . أنْ تتـدحـرج شُـرُفَاتُـهَا . فـاسْكُتي . ستَـنْزَفِينَ دمًا . ستَشْقَيْـنَ عذابًا . ستَسْـألينَ المرآة كلَّ صباحٍ . أكلامي . كان نزوةً . أم كانت لهجتي . أم مَسكَني . أنا التائهـةْ . عرفتُ الأحوالْ . كلَّ الأحوالْ . في مَطْلَعِ الكون . انفجـارُهُ الأكبرْ . في بدء الخليقة . كَلمَهْ . وآدمُ كَلمَـهْ . وحـوّاءُ . و الشعـرُ . كلمـهْ . وبـدايتي . كـانت . كلمـهْ . فعشقتُ الكلمـهْ . على جـدار الصّمت . كَسَـرْتُ قلمي . بين الهواتف . ضاع صـوتي . ماخلتُ أنيّ قـد أتوبُ . مُدْمنًـا كنتُ . فاقـدًا حسَّ الإباءْ . فتعجّلتُ الغـوايـةَ . واستَطبتُ من الهوَى . ونـاديتُ بـالأحضـان . أيتهـا الدواهي . إني لَـأنتحلُ القصائدَ . مستلذًا بدمعها . كاظمـًا لغيظ الشعرِ . ألْوي اللّهاةَ . وأغَـصُّ . كمنتحرٍ بسيـوف اللفظ . مُرَاوحًا بين الدعاءْ . لَزجًا . مُـفَاخرًا . مكابرًا . طَلَبُ الشهادةِ . ليس يَعْني . أنْ نموتَ . طلبُ الشهادة . أن نَعيشَ . وأن نَـرَى جنينَ الهوى . تفتكُـهُ الأبـدي . ويُودَعُ . سَلّـةَ التاريخِ . مُهمَلاً . و الـمَقَابـرَ .

ألا فانْـضَـرِمي أيتهـا النارُ. ألا فَالْـتَهـبِي . مع الفجـرِ . وعنـد الغَسَقِ . وانبلاجِ النـور . والخيطُ الرقيـقُ . ساطـعا يتسلّلُ . و القُـرص الأحمـرُ. والكوكبُ الهـادي . و الأفلاك هـائمـةٌ . ويَـخرج السـاعي . حريصـا . مؤذّنا . قَطَرَاتُ النَّـدَى . تُبَـلّلُـهُ . وليس يدري . متى يتصبَّبُ الطَّلَـلُ . أو يترامى الـرَّذاذُ . الحقلُ عائمٌ . و البـاسقاتُ مـزارعُ ومفاتنُ . سرابيلُها الخُضْـرُ . فوّاحـةٌ بشَذَى اللَّواقِحِ . و النخلـةُ الحوّاءُ . عطرُها . يأتي السَّبايا . فَيُـنْشِـدُنَـهُ . وتمضـي بُرهـةُ الفجرِ . ويعلو من الأشعة . همسٌ كهمسة الأقراص . وهي واجمةٌ . تَتَحَفَّزُ . تـدعو إلى الظلّ الوَريف أناملَ الفيضِ . مَسْلاَةٌ كفراديسِ الشَّجَى . ويأتي صباحُ الفجرِ . ويَسْكُنُ الكونُ . و البـدرُ يَنحجبُ . وتحتفل الأفلاكُ . و الخلُّ بخلّـه . وتَصْدَحُ المآذنُ . بصوت قَرَاحٍ . ألاَ أيتها الشمـسُ . انكَسفـي . ويَنْسَدلَ الظلامُ . وترتعش القلوبُ . معصوفةً . منها الرُّضابُ . يتصبّبُ . و الأيكُ محفوفٌ . بزَهْرِ الجنـانِ . وردًا عـبيقا . تائـها في الـروض يتلـوهُ النَّدَى . واللَّحْنُ . كَشفَاه الصوت غامزةً . يَعْـلُو . ويَـخْفُتُ . مُنشدًا . ومردّدًا . أوّاهُ يازَمنُ . قفْ هاهنا . عليك بنا .

لو تَسْكُنُ الأفلاكُ سَاعَـتَنَا . ويـؤوبُ من ساحر الألوان . طيفٌ . خذ بيدي . فالأناملُ داعيةٌ . يأتي الرحيقَ دبيـبُها . ويَنْبلجُ السعيرُ . كألسنة اللُّـهَابِ . مالي أراكَ مسارعًا . فالعُشْبُ أخضرُ . و الرُّواءُ مكابرٌ . أنساغهُ

البكْرُ. عيونُها . تفيض من غَسَقِ الفـؤادِ . جداول اللفظ . كظـلال عرشٍ

عنـد الأصيل . عنـد الفصيحِ . عليكَ بي . تبـرًا فتبْـرًا . هاتـوا البرايـا .

كالمفازات التي . بها أمَلي . بها لَـهَفي . لا تُوصدُوا البابَ . ولا الجداولُ

ترتوي . إلاّ مَتَى . تُصيبُ الوجدَ . و الريحانَ . ونَرْجَسي . فُكَّ العقالُ .

وأُطْـبقَت الجفـونُ . وتحرَّكَ اللفظُ . لـو نطق الطيـرُ بـه . لأمْطـرَ القلبَ

بإعجازه . بـإيثاره . بلحنٍ كجوَّادِ الـمرَا طب و النُّهَى . فيكَ الـرحيلُ .

وصحراءُ أرضي . هضـابهُا . وتلالُـها . مُـخْمَـرَةٌ . أحبَبْتُهَا . منـذُ فجرٍ

تائه بين الحنـايا . فضاؤهـا الرَّحبُ . يلوذُ بمَعْـبَدي . بالغابـةِ الوَعْـثاء .

بـالعطرِ العنيف . كسهـام نبلٍ . قوسُهـا . فاسكُني . فـالغيثُ آت . ومن

قَبْـلنَا . عَطَشُ الظَّمآن سُـلافُنـا . فَلْـتَظْمَئي . أوَجْـدٌ هـائمٌ . أم جنـونُ

الرّاشدينَ . القادرينَ . الفاتحينَ أقفالَ السرائرِ . و القائلينَ . إنَّ الفتى . أنَّـى

أتَـى . وارتمت الأطـرافُ . وعلى الرُّبى . يَنتكس الـمُكابرُ . غُـفرَانَكَ

الـذّنبَ الـذي قـد تَأبَّى فَسَجَـا . وأقسمتُ عليكَ . بلهجتي . بـالـذي

أسْـعَـرَنـي . خُـذْنـي إليـه . على الـميناء راسيَـةٌ . شراعُك بيـدي .

رايـاتُنَا الحمـراءُ . بيضٌ . على شـاطيء الـزهو ترسُـو بنـا . مُعَسْكَرُهَـا

الجنـونُ . وصـوتٌ ساحـرٌ . طُـوبَى لـمَن بـنارِكَ يَـصطلـي . يـا مَن

يَـصطلـي . وعلى جِـمَـارِكَ يَلتوي . وفي نهرِكَ الفـوَّارِ . أبـدًا لا يرتوي .



شَـــدْوٌ

قُبيلَ الفجرِ. تيَقّظَ حسيّ. فـأفقتُ ثَملاً. وتوهمّتُ نـوما. سـافرتُ فيـه. لا يَـرُدُّني وقتٌ يمضي. ولا أرضٌ حَـزَنٌ. حتى إذا. مـا بلغتُ النُّـهَى. خلـوتُ إلى الحبيبِ. مهاضبًا. أجُسُّ إليه الطـريقَ. بين المعاطف مترفّقًـا. أدنو. ثُـمَّ أتوقّـفُ. فيأخـذني التَّـوْقُ. ثُـمَّ. يَصُـدُّني. هَفيفُ خَوْف. كـالرّعشة نَخْشَى بها. أن ينقضيَ الـذي بنا. فأعـاودُ. فإذا الذي بـنَا. بعضُ ما بنَـا. تَـمرّ أنَامِلـي على الصّحائـف. فيـزهو اللفظُ متلقّفًا. وتنفتحُ المعاني. مُعَانَـقَـةً. كاللّغو البعيـد آذاه الحنينُ. إلى وطنٍ. فَحَـلَّ به. يُـقبّل أرضَه. ويُمَرّغُ الوجهَ على الكلمات. يَستنشق عبيرَ الـمَـرَافِىء. يهفـو. كصبيٍّ إلى الـمَحاضن. وسمعتُ اللفظَ يشدو. فـانسـدلتْ على الـوجنتين. مَعـازفُ الشكـوى. وأحسستُ أنّ الكـلام يتظلّم. يـريـد أن يُـفاتِـح. فلا يُـفصِح. ويَـئِـنُّ أنيـنًا يَـعَـضُّ فـؤادي. فأردّدُ لـه الصَّدَى. أباكيه بالدمع السّخيِ. ثم أضْـغَطُـهُ بين الحناجر. فَيُسْلم أنَّةً. تُنادي بـلا مَلَل. فأحتضنُ الألفاظَ. كأني مُـلاَثِمٌ. ومُقَـبّلٌ. ثم أعتصرُ اللّفَـافَ. هفًـا كأنـه المعنى. أبْخرَةُ الـرُّوحِ. تُصَـاعدُ الأنفـاسَ. وأتركـه

يفيضُ خـوفـا . يكـاد يَغْضَبُ. حتى إذا ظَـنَّ الكلامُ. أنّـي مُعـذِّبُـهُ .
تسلّقتُ الهضابَ. في يَدي الألفاظُ. وأمسكتُ تـلاَ لَـهَا. عنيفًا كأنيّ ظالمٌ.
أجُـسٌّ. ثم أمسكُ قابضا. ثم أضْـغَطُ . لا يؤوب لي حُلْمٌ. ولا يراودني
الإشْفاقُ. أثبّتُ الحروفَ على الصحـائف . بين السطور. أوشك أن أقتلعَ
ما بَـدَا. ومـاخَفِيَ. وأنا بين زفرة و أنين. و النارُ تَـوَقّدتْ. من طوق .
وخـلا القلبُ. إلا من لهيبِ شـوق . كـالمعنى يَـتَخَلّقُ . أسمع أزيـزَهُ.
يعلو. ويعلو. ويَلهَفُ. صائتا و مغرّدًا. رحماكَ إغاثتي . أدركْني. مَدَدًا.
مـددا. لا تُشفقْ. ضفافي مـوطنُكَ. شفاهي عبيرُكَ. مكـامني أسرارُكَ.
وحين توسدتُ اللّوْحَ. وَ أسْلمتُ إلى اليراعِ. ذرَاعـي . وفاض اللهيبُ.
وتوجّس الكلامُ نـقمتي. صاح بنفسه. يَـجْلـدُهَا :

تَبًا لساعـة كَـفَرتُ فيها بنعمتـكَ.

سُحقًا لغفلة زاغت برُشْدي فضيَّعتْ حبّي.

رَجْـمًا ليـوم خلتُ فيـه أن أكـون غنـيًّا. فَطلبتُ إليكَ هجـراني.
وكابرتُـكَ فيه. ثم أصْـرَرْتُ على الفُـرقـة أعلّمُكَ فيها الدّرسَ.

لا حملتْ بمثلك أُمّ أيُّـها الماردُ الـذي هَـمَسَ في كبريـائي همسًا
انتفَخَتْ به أوداجي خَـوَاءً فاختلط الـدَّمُ النقيُّ بـوعثاء الضَّلاَلـة.

أيها الإلفُ الحبيبُ. ما أنتَ إلا مَن عرفتُ. ما أنتَ إلا أنتَ.

وَسَجَـا الرفيقُ. فتلَمّحتُ في العين دمعـةً. كَشَهْدَة العسلِ . خلْتُهَـا

نذيرَ مَنـاحة . فارتشفتُـها . فكانت قَـطَرَات الجَــوَى . تُسَاقي فَرَحًا . أبَـدَ الدهرِ . كدمعةِ الأنثى ليلةَ زُفَّـتْ إلى الحبيبِ لم تَعرفْ قبلَـهُ حبيبـًا ولا تخالُ بعــدَهُ .

ثم سكَنَ الفجــرُ . فَنِمْتُ . وسمعتُ الكلماتِ يُــرَتِــّلْنَ تســابيحَ الفداء . وسمعتُ إحـداهـنَّ تـنادي من بعيدٍ :

كنتَ حبيبـًا يـومَ عرفـتكَ .

وكنتَ حبيـبًا يومَ استشاطَ غَضَـبُكَ .

وكنتَ ألفَ حبيبٍ يومَ لم تَـهْجُـرْ ولم تَـنْـقَـمْ .

فَمَنْ لي بالسماء تُـعينني على نفسي كَيْ أخْلص لنفسي .

ومن لي بأحمال الأرض تُــعينني على رضـاكَ منــذ بُحتُ لك : إني خالصــةٌ لكَ من دون الكلمات فَصَــدَّقْتَـنــي وكدتُ بعــدَها أن أكْـذبَ نفسي .

فعهَـلاً قبلتَ مَتَـابتي .

هـي خـالصـة خـالصـة .

وأنـا الخـالـصة الخالصة .



جَهْرٌ

الواحةُ جنـانٌ تسقيهـا الميـاهُ . و الجزيـرةُ ديـرٌ كصلاة الآمنيـن . و الـرَّبـع روضةٌ ترتجـفُ فيها قلوبُ الخائفين .

إذا قَطعتَ زهرةً فَتَـذكَّـرْ مَـنْ سَقَـاهَا . وإذا وقفتَ على الأهرامِ فلا تَـنْسَ مَنْ ماتوا وهـم يجُـرُّونَ الأحجـار .

استَلَّ السّنجابُ قطعةً وانـزوى بها في المغارة خائفـا ثم خرج يمشي واستوى على الغُصْنِ وتَـمطَّطَ فَرْوُهُ فكأنـّه لم يعرف الجوعَ يوما .

الفتنةُ أن تُلْقيَ بالأجسادِ في التّنّور تَصطلي و الافتتانُ أن تَضَعَ اليدَ من كفّها على الجمرِ فتكتوي فلا تَـصْـرُخُ ولا تستغيثُ .

كان شعب من الشعوب مُغْـرَمًا بالأمـثال ينتهـج فيها نهـج الصُّـوَرِ و التمثيلِ وكانوا يقولون : الرَّجُلُ كالـرأس و الـمرأةُ رَقَـبَـتُـهُ يَـخال أنه قد تَـرَبَّـعَ عليها جالسا وما يـدري أنها هي التي تُديرُهُ ذاتَ اليمينِ وذاتَ الشّمال .

إنْ يكُن الأبُ نـاظما والأمّ لـلأزجـال قـائلـةً فـلا تلومَـنَّ البنتَ إن فاضت بالشعرِ أقوالُـهـا .

الهاتفُ رسالةٌ و النظرةُ خطابٌ و الصّمتُ إبلاغٌ و الرحلةُ كتابٌ وقضاءُ الليلِ سفرٌ من الأسفار.

لشركات الكمبيوتر شاراتٌ . من كُبْرَياتِها واحدة اختارت صورةَ تُفاحة مقضُومة. قال قائل: هذا من الفن الرمزيّ. وقال آخَر: هو من الرسم الجديد. وقال ثالث: هو مما بعدَ الحداثة. وقلتُ: لو لم تُقْضَمِ التُّفّاحةُ ما أُكِلَتْ ولو لم تُؤكلِ التفاحةُ ما نَزَلَ آدمُ الأرضَ ولو لم يَنزلْ ما كانت حياةٌ.

السَّحابُ قد غَشِيَ السماءَ . وَأذنَ المُزْنُ بماء هاطلٍ . فَجَاءَ رعدٌ . وجاء برق . وعَصَفَتِ الريحُ بما عَصَفت . وانتظرنا الغيثَ . غيثَ السماء . إيّاكَ أن تحوّلَ أمل اليوم إلى اليأس من الغد وإذا شَقيتَ بها نفسُك فيه فاسعَدْ بما يَدُكَ عليه.

لخطوط الطَّيَرَان شاراتٌ . لهذه حمامةٌ . رَقَّتْ. وانسلَّتْ في الفضاء مجنّحةً. كأنما تطير. ولتلك غزالةٌ . تمدّدتْ . لكأنها. في عَدْوها . حمامة فرّت من أيكها . وللأخرى صورةُ طائر. من الجوارح . عَيْنُ حَدَأة وأجنحةُ العُقَابِ . مَخَالبُ النّسرِ و أزيزُ الصُّقورِ .

الكونُ كائناتٌ . جمادٌ ونباتٌ وأحياءٌ . وصندوق البريد من خشبٍ ومعادن. مفتاحُه وكذا جدرانُهُ. جَمادات. و النّخلةُ نباتٌ. إذا ماتت. وجفّ رُواؤُها. وقُطعت هامتُها. فجذعُها الباقي . وقدأيْبَسَ . جمادٌ .

ألفَ الجذعُ زائــرَهُ . وعنــد الهجــران. أنَّ الجذعُ واشتكــى . حيٌّ بين الأحياء. تَـمَّت الدائرةُ . وطُـويَ السِّجـلُّ .

سيّدةٌ أمينـةٌ . جاءت إلىَ البنك. وفي يدهـا صكٌّ . تريـد صرفَه. فـاستلمتْ . ثم عادت. فقـالت . يـاسيّدي . ماأعطيتَـني . يفيض على القيمة. فهاكَ الفـائضَ . رَدَّ عليها الخازن نقودها. وزمجرَغـاضبًا : «أمينُ الخزانة عنـدنا لا يخطىءُ ». فحارت برهـةً ثم أفاقت . آثـرَ الإبـاءَ فأضَاعَ عَـفَـافـي .

الـبُـرْقُـع ُلجـــدّتي . والخـمـــارُ أمـــومـتي . و القِنـاعُ لطـفـلـتـي . و الحجاب لسيّدتي. و الهَودجُ هودجي.

أخذتُ المقـودَ. وسرت بسيّارتي. على الطـريق السّـيّار . ثم أضأتُ النور. يمنةً. وإذا بي أرْكَـنُ.

لقد ركنتُ على الشّـمال بمركبي.

النفس عـودٌ. و الظنون نيرانٌ . يَـدبُّ لهيبُـها. استقـام العودُ أم لم يستقم. ولولا قيظ الشك . لما عُرفَ برد اليقين.

في يـدي اليمنى وردةٌ . وعلى شفتي السفلى تَـــمرةٌ . وفي مســامعي لحــنٌ نجـيّ. قـد عـانق شعرا رقيقـا. والكفّ تـلامس بأنـاملها . مسّـا شجيّـا. ففاح أريجٌ . وعـاودني عَــبَقٌ. وساورَتْـني مَبَاخــرُ الشرق. في قلبهـا عـــود. وعلى المشــارف جمرةٌ . الخوفُ مـن الحبّ. كالخـــوف على

الحبيب . كـارتعـاشـة البَـرْدِ الصقيعِ . كـالحمّى في شـدّة القيظِ . أحببتُ خَـوْفَكَ . أحببتُ جمرَكَ . عشقتُ قيظ حمـَاكَ . مثلَ ليلٍ هـادىء . مثل الظّلمـة في السكـون . يَـحَارُ القلبُ . يطـول السُّهـادُ . ليـس القـادم كالـمُرْتَـحلِ . ولا يومي يُشْبِـهُ يوما من أيام أمسي .

إذا زُلْـزلَ العرشُ . واهتـزّت الأرضُ . بجبَالـِـهَا . وهوى البنـاءُ . فَـقفْ . صامدا . وقلْ . في صَمْتٍ . وفي جَلَدٍ . إنّـي هنـا .

هَمْسٌ

هَبَّ نسيمٌ . وأنا على سفح الجبلِ . أطُوف بالوادي . وأهل الربّع نيامٌ . فتعطّرتُ به . وفتحتُ جوارحي . طالبا . هل من مزيدٍ . وغَمَرَتْني رائحةٌ . حَرّكتْ سواكني . فنقلَتْني مما كنتُ فيه . وأخذتْ تَجرُّني . حتى ظننتُ أنّني . أُحْيِي زمنا مضى . وأمعنتُ في الرّحلة . متخطّيًا لحواجزي . متساميًا . كأنّ الجسم قد خَفَّ مِنّي . وإذا أنا . كَحُلْمٍ شاردٍ . أرْفُلُ في حُلَلٍ . فعرفتُ أنيّ صادق .

طائرٌ يَرُوقُهُ البحرُ . وطائرٌ يَحْسُدُالسَّمكَةَ . وهي تَسبحُ . وتقولُ . مَنْ لِي بمجدٍ . أو بسحرٍ . أو بقَدَرٍ . يأخذني . من الماءِ . إلى عنانِ السّماء . فيَهْوِي الطائرُ . بَرقًا صاعقًا . ومن أعماقِ البحرِ . يأخذها . ويُحلّقُ عاليًا . ومُفاخرا . قَنْصًا شهيًّا .

خَلْوتي . كِدتُ أخافُك . خلوتي . لولا أنني . أحببتُ ذاتي . منذ أحببتُ . خلوتي . منذ أسرَّتْ لي خلوتي . منذ قالت لي في عُزلة . للنَّعيم لذّةٌ . وفي الحِرمَان لذّاتٌ .

أرتشف من الفنجان جُرعةً . جُرعةَ القهوةِ . حيثُ لا سُكّرٌ . هكذا

أتعـمَّـدُ. أتقصَّدُ . كلُّ المرارة في بدايتها. ثم تنقشعُ. وقد أوصَوْني بترك السُّكَّـرِ. ولستُ معتلاً ولكنْ روّضوني. وقـالوا. هـو أفْضَلُ. وقـالـوا. ستغـدو القهوةُ . حلـوةً. بـلا سُكّـرٍ. حينَ تتعـوّدُ. بها تأنَسُ. وتُؤَالِفُ . تَـرْكَ السّكّـرِ. ففعلتُ. وهـا هي ذي. قهـوتي. بـلا سكّرٍ.

قـالـوا. ما أسرعَ أن تحبَّ إمـرأةٌ . قـال. إذن. مـا أسرعَ أن تَنسَى النّساءُ. قـالوا. مـا أعجلَ أن يتحوّلَ رجلٌ. قـال. ما أهـونَ أن يتهافت الرّجال. فَـتَحَاكموا. قالَ القيّمُ. إذا عَـزَّ عند المرأة حبُّهـا . أمْسَـكَتْ. حتّى يطول عصامها. فإنْ هي أسْلَمَتْ. هَـانَ سلامها. يخالونها تتهاوى. وهي لا تتهاوى. قال . دكّـا لرجلٍ حديدٍ. ليت أنّـهُ. من ضلعها.

قالت . هذا يناديني. وذاك يصافحُ. وثالثٌ من أعالي الشرُفـات . يُطِـلُّ. مُـحَابِيًا. وأخٌ له. على الممرّ الأسفلِ. يشيرُ مُغـازلا. يراودني. وأنا كما كنتُ أنا. وأنا هنا. أدعو وأبتهـلُ.

أفتح كتابا. أستلّ ورقةً. أقْضِمُ أطراف القلم . في انفعالٍ. في توتّرٍ. ثم أبحث عن مُعْجَمٍ. عن قاموسٍ. ولسـان العَـرَبِ. وقـد هَـدَأَت الخواطر. فأقـرأ متنًـا. وشرحًـا. وحـاشيـةً. ثم أقتفي صلَـةً. تتلـوهـا الصّـلاتُ. وأعـودُ إلى المقعـدِ. إلى الأريكـة. والقلبُ فَـوْضَى. و النّفس سائحةٌ. وأسألُ. مَن أنـا. ثم أستدركُ. ولِـمَ السّؤالُ.

على المكتب. نظرتُ إلى صورتي . وفي المرآة . تأمّلتُ صورتي . وعلى الهُويّة. وجواز السَّفَر. وفي المحافظ . رُحْتُ أقلّبُ. أقرُّ بهذه. و أستنكرُ هذه. ثم جمعتُها . وأعدتُ على المنضدة توزيعَها . وترتيبَهَا . وقلتُ . لو أختارُ من بينها . أوْ لو أسوّي بينها . وانتبهتُ إلى السّاعة . في معصمي. فوجدتها تتحرّكُ. فلَمْلَمْتُ ما تَنَاثَرَ. وطويتُهُ. طيّا رفيقًا.

وكنت أحبُّ الموسيقى . كنت أعْشَقُ الألحانَ. و اليومَ أريد أن أغنّيَ. فلا صوتي يطاوعني . ولا الألحانُ ترتادني . فأعود إلى الأنغام أسْمَعُهَا. فيأبَى السّمعُ. وتتمرَّدُ. على إرادتي أذُنـي .

العشقُ . إذا سَمَا عاليًا . العشق. إذا علا مسرعا . وإذا حلّق زاهيا . وارتقى صُعُدًا. فأشفقوا عليه. وعَلّقُوا التمائم. وَاقْرَؤُوا لَهُ . سورةَ الإخلاصِ. وسورةَ الفَلَق.

من المكتب. خرجتُ إلى الصالون. ثم إلى الشُّرْفَة. دَخلتُ المطبخ . وأطْللتُ على الحديقة. ثم نَادَى المنادي . إلى البهو . ثم إلى غرفة في الطابق العلويّ. فامتلأتُ بالفضاء الرَّحْب. وانقبَضَتْ نفسي فجأة . فَالضّيقُ ضيقُهَا. والرَّحابةُ من إحساسها. وما الكون إلا مرآة . على صفحاتها. تنعكس صورةٌ . هي صورةٌ من نفوسنا .

في الغابة . في الجوّ. وعلى متن البحار . أحسُّ بوحدتي. وبين أركان

المصحّة . حيث أسْتَشْفي . في الْـمَعْبَـدِ . وبين أركان الـمَحَابس . هي
عُزلتي . كأنـه الهدوءُ . كأنه السّكونُ . لست بخـائف . ولستُ بمُرتجف .
وسألتُ عزلتي . عن هُـويّتها . عن مَنْبَتِهَا . عن مَـرتعها الفسيحِ . أمِـنْ
حَوْلِـي هِيَ . أم مِن جُودِ مَـنْ حولي . ومن حينٍ إلى حينٍ . في نفسي أراها .
أحادثها . أكـادُ أحـبُّـها . سِيَّانِ عندي اليومَ . الثَّـرَى و القَـمَرُ .

إشمَـامٌ

قالت لِـيَ اللغة : أنتَ العاشقُ الجديـدُ . لا أقولُ لكَ إلا ما قاله مِن قبلك ابن الحسن :

«اقعُدْ في ثُـقْبِ الإبرة ولا تَـبْـرَحْ ، وإذا دَخل الخيطُ في الإبـرة فلا تُـمْـسكهُ، وإذا خرج فـلا تُمُـدَّهُ، وافـرحْ فإني أحبُّ الفرحـانَ، وقُلْ لهم قَبَّلَنـي وَحْـدِي ورَدَّكُـمْ كُلَّـكُمْ. فإذا جاؤوا معكَ قَبَّلْتُهـم ورَدَدْتُـكَ ، وإذا تَخَلَّـفُـوا عَـذَرْتُـهُـمْ ولُـمْـتُكَ، فرأيتُ الناس كُلُّـهم بَـرَاءٌ» .

قلتُ للّـغـة :

أيتهـا الضـادُ. مفتـاحُ قلبـكِ بِـيَدي. وأزرارُ الفسـاتينِ. وسـدرَةُ الـمُنتهَى. بيدي . أنت. بيـدي. أسماؤُكِ التي قـد خَطَّـهَـا القائلـونَ. أوصافُـكِ كما حـرّفهـا الـمُداعبونَ. بيدي. أوتـارُ قلبك. بالـنَّغَمِ الحائرِ. بيـدي . رِيشَـةُ العَـزْفِ. وآلـةُ الـدَّبْـكِ. ومعْطَفُ العُـودِ. وتسـابيحُ القانـونِ. بأناملي . مَفَاتِحُ الآهـاتِ . ولذائذُ الأنين . بأصـابعي. مَفَاتِنُ اللّفظِ. لـو أمْسَكْتُ. ماقـالوا بك شعراً . ولـو تمنّعتُ. ماسُمِـعَ صوتٌ لشيطـانِ الخليلِ. إيقاعك بيـدي. وتفعيلاتُ الـوَزنِ. وأساريـرالضَّنَى .

أمواجُ البحـور. وصورةُ الفنّ. وتمثـال الهَوَى. كلُّها في مقْـبَضـــي. لــك الغاباتُ. فانسَـرِحي . لك الأعشابُ. فتـوسَّدي. لك ما شئت. لك ما أشاءُ. أقمتُ سجنًا. وشيَّـدتُ قبرا. ودَفَـنْتُ بَنَاتك. لَـهَجَاتـك. دَفنتُ الحزنَ الذي . أحْـبَبْتـه روَّضته . أقسَمْت يومًا. بالوفاء لَـهُ. بالعُمْر. كُلّ العُمْر. مافـاتَ منهُ. وما هو آتْ. بـالصّبر. بالجَوَى. سَفّهتُ أحلامَك. وقَـهَرْتُـهُ . أنْـبـَتُّك زهرةً. وأيقظتـــُك ريمًا . ودفنتُـهُ. بأسمائك التي نَطقوا بها. وبأوصافــك التي غازلـوها. لأحفـرَنَّ مغارةً. بئـرًا سحيقًا. ولأدْفـنَـنَّ في غَيَابَاتـــهَـا . عقاربَ التّاريـخِ. وأشيـّدَنَّ مقبرةً . شاهـقةً. عملاقــةً. ولأرْسُمَـنَّ رُخَــامَـــةً. ولأكـتُـبَنَّ. هـذه مــدفنـة الـزَّمنْ. فَـلْـتَمُتْ. يا أيُّـها التاريخُ . ولتعشْ. يا خالـدًا. يا سرمـديَّ الكَـونْ.

أيتُهـــا الكلمـهْ . أرْهقـــتـُـك . صــوَّرتُ حبّك. ومشــاعـــري. يافـتْـنــتي. ما حيلتي. أنا الظالمُ. ماحيلتي. أنا الظـالم. ما حيلتي. وأنا الــوفيُّ . فلَن أخونَ طبـائعي. ولن أغيــّرَ قبلتي. سأظلُّ دومًا. رائحــا أو غاديــًا. طولَ البحَـار. وعَـرْضَ الــمَدَى. لك ظالــمــًا. سأظلُّ. وإذا الدنيا تخايَلتْ . فكَفَـتّـك مظالمي. وأوجبَـتْـني طاعـةً . فلتعرِفـي . أنّـي أنا . قـد خيَّبَ الآمـالَ في ظُلمه. وإذا ما الظّلـمُ صاح مخاصمــًا. وأتاك بَــعْدي . واشتكَى. متأوّهًا. بأنــيـنــــه . فَـتَبـتَّلـي . بـاسمِ الهَوَى. وترنَّــمي. باسم الجَوَى. وقُولـي. بملْءِ جوانحي. بالأحلامِ. بالأرَق.

بالفاء بالجيمِ بالراء . بكلّ فجرٍ باسمٍ . بالفجرِ مُفرداً . بالفَرد مَجموعاً .
وبكلِّ رَنَّـة هَاتِـفٍ . بالموعد . بالألواحِ . بالخَطّ الفاتنِ . بالسّحرِ
الحرامِ . قولي . ولا تَتَرَدّدي . بُوركْتَ لِي . يا ظالِمي . إني لظُلْمكَ
قد أتَيتُ شَفيعةً . لاتَستَهِنْ بشفاعَتي . بُوركْتَ لي يا ظالِمي .



إِدْغَامٌ

في تجاعيد الوُجود الآتـي . سيُضاجعُ التاريخُ لُغَتي . سَتَحْمِلُ . ثم تَـضَـعُ . سَـيَكْـبُـرُ الوليدُ . ويَـنْحَرِفُ . فَـتُـنَاجيـه .

أيـّها الشّعـرُ . ما أنتَ إلا ذَكَـرٌ . وكل الذّكـور سَوَاسيَـهْ . أيها اللفظُ اللّعينُ . أوْهمتَـني . أنّكَ مُفْـرَدٌ . ألاّ سواكَ يُـمَـاثِلُكْ . فإذا أنا . كـالغرّة المخدوعة . آمَنتُ أنـكَ كاملٌ . قَدَّسْتُ لَـفظكْ . ولَـثَمت بالشّفَةالحَرَّى . حُرُوفَـكْ . وعلى الأوزان . رَقصتُ يـومي وليلتي . ورحتُ أمْـتَـصُّ رحيقَ الكلماتْ . وأقولْ . هو البعثُ الجديدْ . هو الفَنُّ . هو الخُلودْ . تمثالٌ من الإغريق . كآلـهة . يَـعْجـزُ الفنُّ عن نَحْتـهـا . لها يَسجد التّـائهُ . لها . ولظُلمهـا . وتحت غَـمَـامها . يَستظلُّ فُـؤادٌ كَسيحْ . وفي رحـابها . تَـحْتَـمي . تلْكُمُ الأُنْـثَى التي . كانـت تَظُنُّ أن الرّجالْ . وكلَّ الرّجالْ . قد عـاشوا مـرّةً . ثم مات جميعُهمْ . وما الـدنيا . في هـذه الأزمان . إلاّ . بأشباه الرّجـالْ . مَـلأى . فإذا أنا مخدوعةٌ . بالشعر . ومـا الشعرُ . ما هو إلاّ زائـغٌ . مـاكـان إلا مُزَيَّفـاً . دَوْسًا لمنثـور تَفَـرَّطَ عقْـدُهُ . طَعْنًـا للجواهر صُنِّعَتْ . بمَعسولِ الهَوَى . أقسمتُ بـالشّعرِ . كم كان أحْرَى بِهِ .

ألاّ تَـنـزُوغَ أبصـارُهُ. ألا يخونَ العهـدَ. عهـدَ وفائـنا. عهـدَ الأمانـي. يَتَـقَاطَـرُ عطْرُهَا. نتساقَى أريجَـها. نموتُ ونحيـا. بين نهرٍ وجدول. تهادَتْ نفوسُنَـا. كَـخَمَايلِ الفـردوسِ. أبديَّـةَ الأزمان. خـالدةَ الهَـنَاءْ. شرقيّـةَ الأنسامِ. صـوفيَّـةً. حتّى الجُنونْ. مجنـونـةً. كنتُ أنـا. مجنونـةً. مازلتُ أنا. فَبِمَن أجَـنُّ أيا تـرُى. أبـالشّعروقد تهتّـك عـرْضُهُ. أم بالنّثرِ و الجفـاءُ مَـسجَازُهُ. يـا أيهّا القـومُ. هبُّـوا مَعي. وتمَـرَّدُوا. يـا أقـدارَ الكون. تَـبَدَّدُوا. يا أسماءَ الشعرِ. تَـفَرَّقُوا. فلستُ قـائلةً لكمْ. مـاكنتُ أقـولُـهُ. ولكنّي. سأهمس همْـسَةً. بها أهْـتكُ الأعـراضَ. سأقـولها. سأبـوحُ بسـرّهَا. سأقولُـها و اللسـانُ مُـمَزَّقٌ. سأقـولُـهَا. والفـؤادُ بـدمَائـه يَـتقطّعُ. سأقولُـها. ولـلأقدار مَغفـرةٌ. سأقولُـها. ولستُ براجعـة. سأقولُـهَا. ولستُ من اللّواتـي. أنوحُ وأنـدَمُ. سأقولُـها. كلُّ الرجالِ سَوَاسـيهْ. سأقولها. حتَّى أنتَ يَـا وَلَـدي.

نَبْرَةٌ

. . . وإذا القائلُ هو القائلُ:

« . . . أنتَ صاحبي . فإذا لم تجدني فاطلُبني عندأشدِّهِمْ عليَّ تمرُّدًا . وإذا وَجَدْتَني فلا تَعْصِه . وإن لم تجدني فاضربه بالسيف ولا تَقْتُلْهُ فأطالِبَكَ به وَخَلِّ بيني وبينك . ولا تخلِّ بيني وبين الناس . وخاصِمني . وتوكَّلْ لهم عليَّ . فإذا أعطيتُكَ ما تريد فاجعله قُرْبانًا للنار . وقف في ظلِّ فقيرٍ من الفقراء . فَسَلْهُ أن يَسْأَلَني . ولاَ تَسْأَلْني أنتَ فَأَمْنَعَ غَيْرَكَ بمسألتكَ فتكونَ ضِدًّا لِي وَأَخْذُلَكَ » .

فناديتُ لغتي . زفرةٌ جاءت إلى القلبِ . زفرةٌ كالسّاحِرَةْ . أنينُها الحُلمُ . والذّاكرهْ . إيه . يَاذاكرَهْ . وأنا القادرُ . لَيْلاً ونهارًا . أنا القادرُ . بسائطُ العُمْرِ في مَفْرَشي . و المكانُ القَصِيُّ يا أيها الناسُ . ألا فقولوا . كما قال الذي قال . أنا العاشقُ . أنا الوَجدُ . أنا الزَّمَنُ . أنا الرّوحُ متّحدًا . أنا الحاضرُ . أنا الذي . على غير أهله كَتَمُوهُ . حَرَّمُوهُ . أنا العشق المُبَاحْ . أنا الزّمنُ المباحْ . أنا الخالصُ من دون العبادْ . القلبُ تغريدٌ ومِرْجَلُ . يشدُو . عن شوقهِ لا يَرْحَلُ . وبسائطُ الخضراءِ . في وجدِهِ .

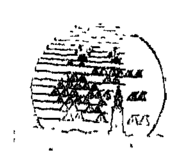
تَـهيمُ وَتَرْفَـلُ. ونعيمُها. وضفائرُ زَهْوِهَـا . تَبْني البلابلُ أيْكَهَا. لتُقيمَ
يـومًا. لتعـودَ دهـرًا. وكأنها عن ريـاضِ الوجـدِ لا تَـرْحَلُ . و الفجـرُ
وَضَّـاءٌ. كأن شُعَاعَهُ. سَوَّاحـةٌ .تَـتَهَلَّـلُ. هَـلاَّ أبَـنْتَ القولَ. أمْ هَـلاَّ
جَلَـوْتَـهُ . أيـا قلبُ. لا ظَمِئتْ. جـداولُ الأنهار حولَـكَ. ولا أنتَ.
بخالص شَهْـدها. حَتَّى الثُّمَالَـة. تَـتَصَبَّبُ . تنسـابُ مَـيَّاسًا. تتسلَّلُ.
متهاديا عشْـقًا فُـرَاتًـا. ومغنـيًّا نشيدَ عودتنَا. فإلى مَـتَى. هاذي الرُّبوعُ .
تتباعَـدُ. وإلى متى . هاذي القلوبُ. بـرضَاب شَـدْوكَ تتقطَّـعُ. وشهوةُ
الذكرى. لقلب مُـقْفـر. والشموعُ. تُؤَاكلُ الشُّهْبَ لُـعَابـًا. ونارٌ تَـقذفُ
الفتائـلَ حـمَمًـا . وتهَـلَّلَ النَّخلُ. وارفَ الظّلّ. وسرُّ الكون حـرْقَةٌ.
تطوي حرقـةً. ويهتفُ الهاتفُ. لتدخلوا الأفُـقَ الـرّحبَ. مُخْضَّـبينَ. غيرَ
خـائفينَ. والفتـحُ القـريبُ. وكلّ شيء مُـرتَّبٌ. مُنَـضّدٌ. مُـوَقَّـعٌ
تَـفْصيلاً. فإن أنا متُّ . فَـسُـبّنـي. وإذا رحلتُ فنادنـي. تُعَانـقُ الرّوحُ
صَليَّـهَـا. والطُّهْـرُ أورَقَ. والمياهُ جَـوَادبٌ. و النهـرُ أتُّونٌ ومرْجَلُـهُ
الـدَّمُ. وتـرتـوي النفسُ فـداءً. ومَـوجُ البراري . رمـالٌ كـالجواري.
لـمـثلها. عَـنَّت الـذّكرَى. وَدَاءُ الـوَجد نسْـيَانٌ يزولُ. أرَوّضُ العشقَ
ألوانـًا. وتَسكُنُ النَّفْسُ. والقلبُ طائعُها. إني أنا الساكبُ. فافتَحْ لـيَدي.
ثغرَ الشَّـراب. واصْبرْ على جُرعَـة. واكفُـرْ بالّذي سكَـنَكْ. وافْـزَعْ .
وقلْ . بـاسم الكـواكب. دُجَـاهَـا اللّيلُ. ونـورٌ واجفٌ صَمَـدُ.

إمَالـةٌ

أيتها الفصحى : سعيدٌ . وبحبّك أكثرْ. أعطيتُ. ولكنْ لك أكثرْ.
في البـدء كانت كلمـةٌ وأكثـرْ. واليومَ أكثـرْ وأكثـرْ. عانقيني . دَثّـريني .
صَـوّري على جَسَـدي . رسـومَ اللّفظ . وَوَشّحيـه. بلـوحـات فنّك . ثمَّ
أرْسلـي . على معاطفي . وبين جـوانحي . خمائلَ لَيْلـك . إنّني . مَلَّكْتُك
نفسي وأكثرْ. أعـانق شوقا . فإلى غيـومك رحلتي . وإلى محيطك مَلجئي .
طـريقي إليك مفازةٌ . بها الأشـواكُ تَـلْسَعني . عهـدي إليك . غاضبـة أو
راضية . لبيـكَ أيُّـهَا التَّعَبُ. لبّيكَ لبّيكَ . يـا أيها اللّهبُ. دَعـينـي ونثرَ
العُـقود . أنا حـرٌّ . وحـرّةٌ كلماتي . كلُّ قَـيد بـجُـرْحــه . وكلُّ جُـرْح
بـنَبْضه . فَمَـتَى الـنـّزَالُ . فالـمَرْكَبُ جاهـزٌ . وكـذا الأبطـالُ .
والأضواءُ. والقادمونَ ليَـنْظرُوا . مهرجانَ اللفظ جابُوا صوبَـهُ . يعانقون
الوزنَ . والإيقاعُ يُرْقصهم . إلاّ اليَـتَامَى . هاتوا اليَـتَامَى . دُرَرُ الألفاظ لها
تتهـادَى . نَـثْرًا وألوانُـه شتَّى . كما صـاغ صـائغ . أداعبُ الأوراقَ . أنـا
الـلاَّعبُ. أحـرّكُ الأحجارَ . كأنها العـاجُ . من رُخٍّ ومن مَلك . وهـاذي
الأميرةُ . تموتُ وتحيا . والبيـادقُ حولها . تطوفُ بفـارس الشّطرنج . حتى
تُذيبـَه . لـتقولَ عندئذ . كشٌّ وَمَاتَ . فإنْ تحيا . فَبـإمْرَتـي . وإن تلهو .

فبلعبتي . وإنْ أنتَ أمسكتَ العنانَ. فقلْ لنـا . أيُّ الفوارس. ذاكَ الذّي .
غاباتُهُ العُشبُ . أم هذا الذي للَـفْظـه ظالـمٌ . طَوَّفَتْ. فَلْـتَـقْرَؤُوا . باسم
الدّعـاء . صَلاَ تَـهَا . وَسُهَادَهَـا . نَهَارُهَا الليلُ . وبعـضُ أسمائهَا . إلى
العـدالة . ومملكـةِالعشق . مطلوبـةٌ . وَمَنْ غَـيْـري . أنـا الطالبُ. أنـا
الطـالبُ. فاسألي العَـرَّافَ عَنَّـا . ثُمَّ قولي . إنها الأقـدارُ فينـا . ربّةٌ تلهـو
وأفلاكٌ تـدورْ. و الّذي نفسي بـِـلاَهَا . والّذي عَـنَّا يَغيبْ. أنَّ ذَا الرُّوحَ
مَلاَكٌ . أنّ ذا طيفٌ حبيبْ. عائـدٌ يوما يـُغنّي . سائحًا بين الدُّرُوبْ. في
رياض الأُفْـقِ يَدعو . ويُنـادي . ويؤوبْ. هو ذا الحُلْمُ المُؤَجَّلْ. هو ذا الماءُ
الـزُّلاَلْ . هو ذا الأيكُ الفـريدْ. هـو ذا الحبُّ العنيـدْ. فهل أتاكَ حـديثُ
القلاعْ. شامخات. صامداتْ. أقفالُـها الصَّلْدُ. و الرواسـي الشاهقاتْ.
الصّخرُ أوّ لُـهُ. و البرجُ قِبلتـُهُ. وفُـتَاتُ القلوبِ . حبَّاتٌ على الأرض .
طيـورٌ عابـراتْ. وإذا البرقُ هَفَـا . وإذا اللحظُ مــدادْ . رجفـةُ الأقـلامِ
بياضٌ ناصعٌ . وفتحٌ قـريبْ. وإذا الـمَحَاجبُ تـرتوي. وإذا العسـاكرُ
غـازيـاتْ. و الحصنُ مـرتعش. والأسوارُ. و السهـمُ فاتـرٌ. و الأقفـالُ
هاويـةٌ . و النفس دَعِـيَّةٌ . والعصيـانُ نَجِـيُّهَـا . والطّيرُ مالكُـهُ. نسورٌ
خاطفاتْ . شعـاعٌ . والجمرُ. مقْـبَضُـهُ اليدُ. والأنـاملُ باسماتْ. ولذّةُ
اللّحـظ . قلـوبٌ واجفاتْ. والأنَا فـوق الأنـا . والشعر فـاتـن اللـفظ
و المعـاصم واثقاتْ. و الإسـم مكـرَّمٌ . و الـمَحْتِـدُ واسماتٍ عامـداتٍ

زاهياتْ . والكل مزدحم و الضمائر في الأنا . هو الأنا . فلتكوني وليكنْ .
حـرفٌ و حـرفٌ . حيٌّ لا يموتْ . أجهشتْ بـاللفظ صـاحَتْ : أقـولُ
فأندَمُ . ولا أبـوحُ . فيَشتكي الوَجَعُ . لَـيْـلـي سُهَـادٌ . والنهـارُ . كَمَـنْ
سَـلاَ . وكَمَنْ شَـدَا . سَلُوا قلبي غَـدَاةً . سوا قلبي أصيـلاَ . لا تسألوني .
ولا تفعلـوا . فلو سألتـم . سَأكْـذبُ . ولـو فعلتم . سَـأكْـرَهُ . أن أقـولَ
لكم . ما قـد قلتُـهُ . وعرفتُـهُ . وطويتُ صفحـات الهَـوَى . ونسيتُ . أنْ
أقولَ . إنـّي عربـيـّةٌ . عربيـةٌ . عربيـةٌ .





تَضْمِينٌ

جَلَسْتُ. وثَـبَّتٌّ في الـرَّمْلِ الـذهبيِّ . بأظـافـري . وأقمتُ عِمادًا . ونصبتُ شَمْسيَّـتِـي . كما كان يَفعلُ أبي . وجَدّي . في غابـرِ الأزمان . في الصحراء . في شـواطىء العُشْب . وفي المراعي . وعلى ضفـاف العيون . جلستُ . ونَصبتُ . وانتظرتُ كما انتظر مـوسى . قبل أن تجيء إحداهما . نصبتُ واستلقيتُ . وقلـتُ للشّمسِ : عليكِ . بمفـرشي أبْدلِـي منّي الغـلافَ . فأبي أسمرُ . وجـدّي أسمرُ . والقـارّة السمراءُ أمّي وجـدتي . أبْـدِلي جلْـدَتي . اصْبغِـيهَا . أعْـرابيَّةً . ذاتَ أنـوار إذا انكشفَتْ . حُـمَّ الغَـمَامُ . وضاع لُـبّي . وبعضُ قلبي . وتـاهت الأنظارُ . ونادَى الطّيفُ : يا أسمرُ يا أسمر . هل يأمَنُ البحـرَ راكبٌ . هل يَـنْزلُ النهرَ إلاّ مغامرٌ هل يَعْلـو الجبالَ إلا مكـابـرٌ . بُحـورُ النفس مظلمةٌ . أنهارُ القلـب غائمـةٌ . جداول الخضراء تَـبْتَسِمُ . شواطىءُ الأنس فيهـا جَـنَّاتٌ من الهَوَى . فاتنةُ الرياضِ . سَوَّاحَـةٌ . تُـغْري . منْ بَني عُذرةَ جـدّي . من قَيْـسٍ . من ديارِ الرَّبْـعِ . عَشقتُ نفسـي يـومَ عشقتُ كلماتي . يَـا فُصْحَـايَ . هذا غنـاءٌ . تَـهْوَى . أهيمُ بحبّها . تختالُ . أصبو بلهوِها . بغرامها . في مَرتع اللفظ .

في مَغــازل اللحنِ. في كل أغــنـــيَّــة. هــي نفسي. هي نفسي. واضحُ
اللَّحن. أعْـزفُ. أقودُ التَّخْتَ. وأمضي. شاديا. شـاديا. لك يا عربيّةً.
أيتها الفصحى. لساني وجنـاني. أهديتُك روحي. وهل قليلٌ. أهديتُك
أنفــاسي. ذراعي ومَبْسَمي. وهـلْ قليلٌ. مــا كنتُ أحْسَبُ. أنْ قــد
غَفَلْت. ولقد نَسيت. ألفاظُ الآخرينَ. علامةُ عَيّـهِمْ. علامةُ جِنْسِهِمْ.
كَفّي. ذِراعي. صَـدْرِي وأ نَــامِلــي. وكلُّ ما فِــي جَسَـدِي. شَـهَادَةُ
حُــبّي. و تُــرجمانُ عـواطفي. لا شيء في جســدي. لا شيء في لُغتي.
يُـحَرّكُـهُ الهَوَى. ما لم يكن. مِـنّي الفؤادُ. هائمــًا. بالحبّ قـد نَـبَضَا.
الجسمُ حَــمَّالُ لَــذَّات بـلا أملٍ. و القلبُ إذا أحَبَّ. هَـامَ في عشْـقِــه
الجَسَدُ. نَـفْسي فلتستجبْ. يا لفظُ. أنَّــى مُنْيَـتي. بانَتْ. فجادَتْ. ثم
هامتْ. فتشرَّبتْ صَفْـوَ الرحيق. رَحيقهَـا. فَلْـتَصْفُ لــي. يا مَشْـرَبي.
ولتقلْ: هو الفجرُ بازغًا. هـو ذَا مَشْـرَبُ الألفاظ عند سُبَاتِهَـا. أجْهَشَتْ
بالبَـوْحِ. كنجمٍ يتوارى. بين الكلمات يَـسْتَـتِـرُ. فَـيَلَذُّ لـيَ الحديثُ.
من عَبَـث الــوَليــد. ثـم أسَّــاءَلُ: حَالـــي كحـــالــكَ. أنتَ لي.
وأنَالَــكْ. الخَـلـــقُ كَلِمَـــهْ. و الوجـــدُ كلمــهْ. و الــملــبَسُ
والألــوانُ. وحركاتُ اليـد. كلمهْ. و اللفظـةُ المكتومـةُ. و التي تصل إلى
الشفــاه ثم لا تُنطَــقُ. وقــولُنــا: إني مُــمسكٌ. كقــولنـــا: لا
أعرفُ. وإطـلالةُ الـوجه. وانسيـابُ اللّحظ. كلمهْ. كـأنّما العينُ تَغْـمزُ.

وهـي لا تَغـــمزُ. و الأنـامل اليمـنى على أظـافر اليسرى. و السـاعةُ على الـمِعْصَم تُطلُّ من تُــخُـومِ الثّوبِ. و العينُ تَسترقُ الـوقتَ. و الجيدُ إذ ينحني إلى الكَتِفِ. وابتسـامةٌ يَقْطعهـا الخَـفقَانُ. ووَجنـةٌ يتوالَـى عليهـا شحـوبٌ واحمرارٌ. وعينٌ تَشْـــرَقُ لَـتَكَادُ تَـنْدَمِعُ. و الجَفْـنُ مظَلّـةٌ. وفَراديسُ النعيمِ. جادت بِخلٍّ يَقرأ الكفَّ. ويُصغي إلى النَّمْلِ : بكلِّ هذا السحرِ. أسَـــرْتـَنِي. سَلَبْتَني. كفراشة. إلى النــور. أنّى صَـرَفْتَ السّيرَ. إلى كَبـِدِ السّماء. في الفضـاءِ الرَّحْبِ. قد غزوتَ الكـونَ. حَتَّى مَلكتَـهُ. تُـحرّرُ القَيـدَ. سُودًا وبيضًا. إلى السماء مَعْــرجُـنَا. إلى الشهـادة نَطلبُهَا. شهيقًـا زَافِـرًا. سبيّــة الوجــدِ. في المعشــوقِ خـالصةٌ. ومع الحبيبِ خُلودُهَـا.



إفْصَاحٌ

كلما سمعت شعرا أو مَشيتُ راجلاً، كلما أنشدت أغنيَّةً أو أكلتُ خبزا. كلما ارتديتُ ثوبا أو احتسيتُ شرابا. كلما وضعت على ناظري مِجْهَرًا. رأيتُ اللغةَ. حَضَرَتْني اللغةُ. فاجأتْني. أفسدَتْ مشْيتي وغنائي. نَغَّصَتْ خُبْزي وشرابي. أيقظَتْني بالكونِ بالنّاسِ بالغافلِين عنها بالهَاتكينَ أعْرَاضَهَا.

رأيتُها مع نوح. رأيتُ مَرْكَبَهُ. تَصوّرْتُهُ يَخْتًا ملكيًا. في المزاد العلنيِّ. يُباع ويُشْتَرَى. بأغْلَى ثمنٍ. فاقتنيْتُهُ. وَرَصفْتُ على مدارجه، من قواميس الكلماتِ، من كل زوجين. حقيقةً ومجازًا. وفاضَ التنّور: اركبي معي أيتها اللّغة سأحميكِ . . .

يا كلَّ حاضري أيَا قَدَري . . . أشكوكَ قسوةَ العَيِّ. فَمَنْ سواكَ يَبعثُ الدّفءَ في أوْصَالِي. في الرأس سؤالٌ. تَتَشَظَّى الذاكرهْ. فمن يَغسل عن قلبي التعبْ. أسْبح في بِركَةِ الجسدْ. أرْسلُ إليكَ شُعْلَةً من دَمي. وشَهْقَةً نَسيتَهَا ذاتَ مساءٍ على صدري.

جاءني بها وَدعَاهَا. فأتَتْني. مُتَخَفّيَةً. تريدُ فُجَاءتي.

هاتَـفَتْ . بـَيد الــمرْنَاة . فَـدَوت صورةٌ . تَـنْحَــرُ الشّـرْيَانَ . كنتُ أرى الأيّامَ . أعُـدُّهَا ليلاً بليل . تَـطوي نزيفَـهُ فأبْتَسمُ . و اليومَ ها أنا أبتسمُ .

لا تُطِلْ بعـد اليومِ قصـائدكْ . فخيرُ السّحـر نَــفْـثةٌ . معقـودةٌ . لا تَـملكُ لها . ذاتُ الـهَوَى . أنْ تتعوّذَا . رُشّـهَا رذاذًا . مُـمطرًا . متهاطلا . واختـِمْ عليها بَصْمَــةً . أمّيَّـــةً . هي لغـة الهـوى . عـاريـــةَ الحـروف . و الحركـاتْ . و الكلماتْ . فَهَمْهِمْ بها . متلكّئًا . والْعَـــنْ دُعَـاةَ الشعـر . وبعضَ الفصحاءْ .

كُنْ كطيفكَ هاويًا . وكَظلّكَ . لا تَبتعدْ . لاَدغًا . هاجرًا . هبَات بلا نَـدَمٍ . صَمتٌ خَشُـوعٌ و الصَّـدْرُ أوّاهُ . و الــدمعُ من مُقلتي . في نشـوة وَهَّــاجَة . في غمرة الأشجـان ودَّعتُهـا . لُـغَتي . وفي غفـوة كَصَفير همس وكنور السَّمعِ أحتاجُهـا أدْعُو لها . كالعبد ينـادي و ينادي : ألا أيها المولَـى بربّ الشعرِ و للحبّ آلـهـةٌ هل مـن طيف يـُجدّد لي عهدًا و عهدًا ويقول لي : ما نارُ لفظ يـتَـجَارحُ يَـتَـقَاطَـرُ . خذني إلى حضْنِ الكلمات . لادفءَ في غيرِه . ملءَ الجُفـونِ . وفي الأحلامِ . أحْيَا وَتَــحْيَا . لنـا الوفـاءُ . لنا الدنيا . وكل السماءْ .

في الكونِ مســالكُ . لا يَلجُهَا إلا واحدٌ . إلا مرّةً . إلا ســاعةً . ليس يدري متى هِيَ تأتي . إنْ كانت ستأتــي . فقـــد يـنقـضي العُمْرُ ولا تأتـي . و الحمدُ ألفٌ يـومَ تأتـي .

بَثٌّ

اصْطفّت الجماهيرُ واستطالت الطوابيرُ. تـزاحموا. ثم دخلوا. التفُّوا بالحَلَبَـةِأدوارًا. تقول: كعبةٌ. ضجيجٌ. صراخٌ. أصواتٌ كالاستنفار. دقّت النواقيسُ. صَعَدَ المتبـارزان. على الحَلَبَـة: الحبُّ و اللغةُ. تعاقَبَـتِ الجولاتْ. قال: أثمرتُ عشقا. قالت: وضعتُ شعرًا.

مَـنْ زارعُ الورد. من صانع البهاءْ. مَـنْ خالـقُ الفـتنْ؟
لولايَ ما كنتَ تحيا. ماكان شاعرْ.

لولايَ ما كان سحرٌ.

بعد نزول المطر. بذرٌ. نباتٌ. زروع. إثمارٌ ومَـــخَاصبُ. حصادٌ ومَغَـــانمُ. زال الجفـــاف واختفى الجَدْبُ وعـاد المطـــر يســـاقي الأرض فترتوي.

لقـد ألمّ الطـائفُ وذهب بها ذهب حتـى أضنـاني وأنهك قُـوايَ وأنـا الضعيفة في نفسي. أقول عـبَرًا. أسمع صوتكَ في السماء يوقظ أحلامي. ذاهلـةً. صامتـةً. حائـرهْ.

حين تَسْكُبُ في مسمعي كلمات الدّفء أسارع إلى المهد الوثير فأراكَ معي نركض على صفحات المطر فَيَنْبُتُ البحرُ أحباقًا فتبتسم المرآةُ ويضحك الكتاب ويتأوّه الوثيرُ.

ستتشكل كلماتي حين تمسح بيديكَ جبيني وتنثر نظراتكَ على جسدي نَدًى وإلهامًا.

فَلَمْ يكن كتابٌ ككتابها. ولم يكن حبٌّ كحبّها. وشاع الخبرُ بين الأقوامْ. فصارتْ مَضربَ الأمثالْ فحسدها العقلاءْ وتمنوا هذيانهَا. وكان أوّلَ الحاسدين كبيرُ العقلاءْ وقد أنكر نفسَهُ وعَقْلَ العقلاءْ.

اليوم آمنتُ أن الكلام يقتلني إذا ما اللفظُ قَلاَني. أوْ هَجَرْ. اليومَ أتلو على جميلٍ وعلى المجنون ولَيْلاَهُ و البُثَيْنات فاتحةً. وغدًا. باكرا. سأرحل إلى كلماتي. و سَأَرْكَنُ منها في زاويةٍ. وسأدعو شاهدا عَدْلاً. وسأتلو على الكرسيِّ خطابا:

الحبُّ أغنيَّةٌ. يجمعها قلبٌ تائهٌ. يضع لَحْنَهَا نبضٌ قاهرٌ. يؤدّي أنغامَها صوتٌ عاشق. يُروِّض تَخْتَهَا معلّمٌ ماهرٌ. ثم يُفشِي سرَّها لفظٌ ماكر.

عشقتُ الحسناءَ فوهبتُها كلماتي.
عشقتُ اللغةَ فوهبتُها حُبّي وهُيامي.
ضاعَ حبّي يوم ضاعت كلماتي.

رَنِـينٌ

ذاتُ الأشعـار تكلّمتْ فجـرا وطلبتْ مـن جنـود الليل أن يَسكتـوا فـأصغَى لها الجمع ثم انحنوا فقالت مخاطبةً أنيسهـا : ما الذي تريدُهُ منّي ، مالذي جئتَ تطلبُـه . فالكونُ أرحبُ من فضائي . ويـدُكَ الطُّولَى . والكلُّ حولك : يُـحَلّقُونْ . ويتسابقـونْ . ولك يُغَنُّـونْ . نشيـدَ الحرب وأشعار الجنـونْ . إلاّ أنـا . وأنتَ على العـرش كمالك الأرض و السماءْ . تـوزّعُ صكوكَ الغفرانْ . وتُعطي الجوازاتْ . وتَـخلع الثوب على من تشاءْ . ثم تُوقدُ النـارْ . وتَقتطعُ الشعورْ . فَتَـنْثُرُهَا سَعيرًا فالدنيـا بَخُورْ . و العطرُ مـخْدَارْ . ويحترق العـود ويتفاوح المسكُ ويلتـذّ الخليلْ . وعنـدهـا يهلّل الحفلُ من حـولكَ وتتقاطع الأذرع على النُّحُـورْ . فينحنـي الجيدُ وتصغي الـمَسَامع و القلبُ يَتَـهَـدَّجُ و الأنامـل تَزْرُقُ . خوفٌ و حرقةٌ وانتظارْ . والكلُّ غـائظٌ و الكلّ مَغيظٌ و الكـلّ يَستبصرُ القضـاءْ . صـولـةٌ منكَ يـا عـاصرَ القلوبْ . يـانـافثَ الأرواحْ . وتقف أنتَ سلطـانًا عتيـدًا . يصرّح بالأحكـامْ . وتقف أنتَ جبّارًا زعـوقًا . يَـعْصف بالحسـانْ . ويطولُ بين وقفتـكَ و الكـلامْ . سكوتٌ وسكـوتْ . كأنها النَّبْلُ تصيب القلـوبْ . وتقـول كل لاهثةٍ . وتقـول دون أن تقـولْ . وأقولْ . ألاَ إنكَ الـحكَمُ .

ليتك لا تـَعْـدُلُ. وكيف يَـعْـدُلُ الحَـكَـمُ. إني أنـا الأنثى التي لم تَـفُـزْ بالسّبق ولا حَطّمتْ رقما بالقياسْ. فكيف لي بـالفلاح أطْـلُـبُهُ. وكيف لي بتـاج العرش أحملُـهُ. كنْ ظالما وخـذني . كن سا حـرًا. كنْ سليمانْ . كن قـاهرا لمن سَـبَـقُوا. كن مُنصفا للتي تَلْعَـنُ العَـدْلَ وخذ بيـدي . كن جائرا . وكن لي فأنتَ أنتَ العادلُ.

لـو كنـتُ أعْـدُلُ مـا عَشقتُ . لـو كنتُ مُنْصِفًـا مـا جلستُ على العرشِ . فأنا بِجَوْرِ الحُبّ أحتكمُ. وأنا من العدل أنتصفُ. فالعدلُ عدلي . وحكمُ السماءْ. ولا يعرف العشـقَ إلاّ من ظَـلَـمْ . إني قـد حكَمْتُ عليك وحكمي نافذٌ. وحكمي قاطـعٌ. لا يُسْتأنَـفُ. و الحاكمونَ و القُـضَـاةُ و الـمُرافعونَ في مملكـة العشقِ و الذين بقـانون السـماء يَنطقـونْ. إلـيك سيقــولونْ . إني قد حكمتُ وحكمي قـاطعٌ. لايُستـأنفُ. و الهائمـون في ربوعِ الوجـد وحُماةُ العرين. وأهل الرباط. وحـرّاسُ الثغورِ سيَتْـلُونَ ظَهيرَ الحكمِ وحيثيّـاتِ القَطْعِ. وسيقـولـونَ هذه استقالتُـنا من الشعـرِ. وهـذه إجـازتنا. من حقـوق الكلمات. فكـلامنـا اليـومَ كلامٌ جـديـدْ. ومُعْجَمُـنَا اليوم قاموسٌ جديدْ. سلطانُ الشوق كعشاق المرايا. وأصوات الـمُحبّينَ كرسـائل المراودينَ. من فاتنينَ. ومفتـونينَ. حولَـك قـامت ملامح الجريمـهْ. ومنك قد صَـدَرَتْ. فيالقُ التهمـة. وعليكِ حيثياتُ الإدانــهْ. عنـكِ قـد حُـرّمَتْ ظـروفُ التخفيـفْ. إلى قضـاء الحبّ

فاسْتَسْلمي. عليكِ قد حكَمُوا . حبًّا مؤبَّداً. فادخلي القلعةَ وجُرّي أغلالَ قيدٍ يحوطُ بك. إلى الأذقان. وعلى المعَاصمِ. و الخصرُ مُسَلسلٌ . وقُيّدَتْ الخُطى. وتُحْسَبُ الأنفاسُ. أفلا تتبتّلينْ. أفلا تتأوّهينْ. لا يَعْرِفُ الحبَّ إلا من ظُلِمْ. ولا يَدخلُ الجنّةَ إلا من بكَى



حَرْفٌ

الكلامُ اسم وفعلٌ وحرفٌ جاء لمعنًى وحرفٌ ليس كسائر الحروف وحرفٌ يُدركه الحسُّ وحرف لا تؤديه الصّفهْ. في الليلة البَدْراء تغيبُ الكلماتْ. أنا الحرف الذي فرّ من قيد الكَلِمْ. ريشة ذهبيّةٌ. تَرسم ألفاظي بألوان الشوق، على صفحات الألَمْ. تُقَيّدُ أنفاسي ثم تُطْلقُهَا. كما الآهات. في الهواء الطَّلْق. على سجلاّت الألقْ. نادني أرْكَبْ إليكَ. نادني. أيا حُسْني أيا مُنْيَتي. أشدوكَ أغْنيَّةً. أراقصُ إيقاعًا يَخْطَفُ الأبصارَ برقًا. فأنا الصوتُ إذا الصوتُ هَمَسْ. نادني واصْرُخْ. فزمانُ اللّفظ وَلّى واحْتَجَبْ. لكَ الروحُ. لكَ الجسدُ العتيقُ. لك منّي ما يَنْبُضُ وما قد سكَتْ. هُزّني بِصياحِ صَوْتكَ. فأنا الفجرُإذا الليلُ غَسَقْ. اسْكُبِ السَّيلَ على جَسَدي لِتَسْتَلَّ من غِمْدِيَ سيفَ الأرَقْ. وتَغْسِلَ أوْتَارِيَ العَطْشَى. وتُرْسِلَني. طيرا يُحَلّقُ في الأفقْ. خُذْني أنا الطائرُ. خذني على الرّبوة الخضراء. ضُمَّني واصْرُرْ. لا تبتعدْ عنّي. وليكنْ لَيْلُكَ كَأسي. إني على سَفَرٍ. في ليلة الغَسَقْ. إنيّ إلى رحلة من وراءِ الشّفقْ.

عندما عرفتُكَ كان مِنْ حولي فَراغْ . كالهُوَّة السَّحيق . أتجلّى على حافة من بئرٍ . أمُدُّ يَدي . أنْسَاحُ إلى الأعماقْ . كأني إلى الخلودْ . بلا قرارْ . بلا زمنْ . بلا حدودْ . مَددْتُ يدي . أمسكتَني من ذراعي . تعلّقتُ بجسمكَ . أحببتُ نجدتَكْ . هممتُ بمَلْءِ الفراغْ . وحدثتُ نفسي . بغير ما في نفسي . حتّى انطمَسَ الفراغْ . جاؤُوا إلى البئرِ السحيقْ . ردموها . فارتدَمَتْ . على الأرضِ من جديد . وضعتُ أقدامي . صلبةً وجدتُّها . صخريّةً . شكرا لكَ أبا المكارم . شكرا . قد امتلأ الفراغْ . شكرا وحمدًا . يا مُوقِدَ الأنوارِ . يامطفيءَ الشموعْ . يامَالِيءَ الفراغْ .

ذاتَ سَفَرٍ طرقتُ بابَ الكبرياءْ . توسلتُ ذاتَ ألمٍ مناجيا : كيف الكبرياءْ ؟ من وراءِ الستارِ . ذاتَ بهجةِ . نَسيتُ الألمْ . قفلتُ راجعا . وفي يدي . باقةُ أزهارٍ . كأنها . أزهارُ عروسٍ . تخَضَّبتْ أشعارُها . ليلةَ عُرْسِهَا . بأوجاعِ البهجةِ . وَحنَّاء الألَمْ . فهل تتواصلُ الأرواحُ دونَ الأجساد بعد أن التحمتْ الأجسادْ؟ هو التألُّهُ أو إيذانٌ بالوداعْ . فَبكَى السائلُ .

كيف تستقرُّ النفوسُ على النفوسِ .
سُئلَتْ الأفلاكُ فلم تُجبْ .
وسُئِلَ الإنسانُ فقال : إن سكَنَتْ .

ثم سُئِلَ أخْرَى فقال : إذا احتَدَمَتْ .

وَغَضِبَتْ من انتحالِه السَّماءْ .

فَسَألتْ الأفلاكُ آدمَ فقالْ :

الساكنُ عبدٌ ، و المسكونُ عبدٌ ، و العَبدُ على العَبد .

وسَألتِ الأبراجُ حوَّاءَ فقالتْ : إذا الساكنُ مسكونٌ فَصَحْوٌ واسْتِسْقاءْ .

وإذا السّاكنُ سَاكنٌ و المسكونُ مَسْكونٌ فموجٌ يَمُورْ .

فَادْلَهَمَّتْ السَّماءُ حَتَّى الرَّميمِ وَأَطْبَقَتِ الأفْلاكُ وَأَقْفَلَتِ الأبراجُ واحتَمَى حُرَّاسُهَا .

فقال الكاهنُ : إعصارٌ ناسفٌ .

وقال الراهبُ : عارضٌ مُمطرٌ .

وقال الساحرُ : غيثٌ نافعٌ .

وقال الساكن : رَجَّةُ الزَّلازِلَ .

وقال المسكونُ : بَرْدٌ وَسَلاَمْ .



سَمَاعٌ

حَدّثتْ ذاتُ الأشجان قالت : رأيتُ ليلةً في المنام أنيّ ـ ونساءً مثيلات ـ قد اجتمعنا حولَ آسر القلوب مُحَلّقات ولم أكن قد انفردتُ به ، فتذاكَرْنا المحبّةَ وأوردت كلٌّ واحدة ما حفظتْه . قالت الأولى : حقيقة المحبّة قيامُكَ مع محبوبكَ بخلع أوصافكَ . وقالت الأخرى : أنْ تتكلمَ كلامَ عاشق فنيَ في عشقه وخرج عن أوصافه إلى المحبوب . وقالت الثالثةُ : ميلُكَ إلى الشيء بكلّيّتكَ ثم إيثارُكَ له على نفسك وروحك ومالكَ ثم موافَقَتُكَ له سرّاً وجهرا ، ثم علمُك بتقصيرك في حُبّه .

ثم انبرتْ من الجمع واحدةٌ كنّا نظنُّها كالخرساء ـ وكان الآسرُ يَرْقُبُ ـ فقالت : ما يسيطر على الوجدان من آية الميثاق حتى يكونَ الوجودُ للمحبوب . عبدٌ ذاهبٌ عن نفسه متّصل بذكر محبوبه ، قائمٌ بأداء حقوقه ، ناظرٌ إليه بقلبه ، أحْرَقَتْ قلبَه أنوارُ هويّته وصَفَا شُرْبُه من كأسِ وَجْده ، فإنْ تكلَّمَ فبالمحبوب ، وإن نطق فَعَنِ المحبوبِ ، وإن تحرّك فَبأمْرِ المحبوبِ ، وإن سكن فَمَعَ المحبوبِ .

وهممتُ أن أتكلَّمَ وخَشيتُ ، وأنا بين خوفٍ ورجاءٍ هَتَف

الآســـرُوقال وكأننـا لم نكن خَالـصَات : هــلاَّ كَـفَـفْـتُّنَ عن المحبّـة لا تَـسْمَـعَهَا النّفوسُ فَتَـدَّعيَـهَا . المحبة هِـبَـةٌ لا يكتسبها العبد بالمنازلة وما لا يخضع للكسب يُـخشَى من المذاكرة فيه حتّى لا تطلبه النفس أو تدّعيَهُ .

فأفقتُ وشفـتـاي تردّدان : قد قال كـلَّ شيء .

ويـروَى أنّ ذاتَ الأشجان قـد أخذهـا في غَسَقِ الليل أرَقٌ ذهب لها بنصفه وإذ هي بين فكرٍ ومَنامٍ تَـسَـلّل إليها بين الستائر طيفٌ قالت خلتُه مَـوْلَـى السلامِ رسولَ الكلمات فـناجيتُـه .

يا شاعرا قـد تغنَّـى بشعره الشعراءُ. يا ساحرا . ياقـاتلي . يا مالكا . قد تَـسَـلَّـى بظلّـه الأمراءُ. ياصَـائغا بـاللفظ أحلَـى الكلماتْ . يا نـاثرا عَـقدا فريـدا . يا نـاقشا . يـا ناحتـا . بين ألماسِ وجُـمانْ . سأرتـادُ لكْ . سأنسابُ لكْ . وأذيـعُ يوما على المآذن . وأشقُّ الصّفـوفَ . و القائمينَ . وأدعو الجمعَ ومَنْ معَي . تُوبُـوا مَعي . هذا مَلاَكُ الهائمينْ . وبَعدهـا يوما فيومًـا . ستأتـيـني . سيفُكَ الأرضُ . والخناجُـر تختفي . و الشعرُ منكَ . مدحـورٌ . وأنا التي . ستَشـدُّ على مَعَاصمكَ الـوثَاقَ . وعنـدها سأهمسُ لكْ . يافارسي . يا آسـرِي . هذا جوادُكَ في يدي . حصنُ الوَغَـى . ومَرْمَـى النّزالْ . عليـكَ بي . عليكَ بمن قد أسَـرَكْ . فإن كنتَ يومـا طاعـنًا . وإن جاءكَ الظّمأ . أو شَدَّكَ الوَجدُ إلى القتـالْ . فهاذي أنا . فيها النزالْ . وفيها الـمُـقَامْ . الشعـرُ بيتي . و السّجـونُ قصـائدي . وأنتَ هنـا سجـينُ

الكلمـاتْ. فـداكَ الـرُّوحُ تَزْهَـقُـهَا. فجراً. وصُبحًا. ومساءْ. و الرّوحُ منسلخٌ. والبرازخُ تنتقِي. و الحصنُ منفتحٌ. يثـوبُ بحكمِـه. ويطلبُ لـكْ. أن تُـعيدَ القتلَ دومًـا. يا قاتـلاً. يا زائرا. يـامقيما في أضْلُعي. إنيّ فداكَ وقد حكَمتُ عليكَ. إني فداكَ و الحكمُ حكمٌ مُؤَبَّـدٌ: أنكَ القاتلُ يوما. أنك القاتل دوما. إني فـداكَ وعلى المـآذنِ صيحتي: غفرتُ لَـكْ. غفرتُ لَـكْ.



فَاصِلَةٌ

قالت : أنا اللغةُ يتكلمونني ولا أ بُثُّ أحدًا شكَاتـي . أنا اللغةُ . أنا الأنثى . إنّي كَحَـوَّاءَ تَشتـدُّ وتُـمعن في الشدّة . تُـقاومُ نفسَها وتُبدي غيرَ ما تُـضمرُ . تقولُ عنها أبيـةٌ نَافـرٌ . تقولُ عنها فضيلةٌ خالصةٌ . يحادثها الشيطـانُ فـلا تَسْمَعُ . ويَتغـافل عنهـا الأمـلاكُ فتـدعـوهم فيـُخجلُهم دعاؤُهَا . حتى إذا ما هفا حسُّها ورَقّ منها الشّجى وخَفَـقَ القلبُ نـابـضا مُـتَـدَفـقًا وَحَادَثَـتْـهَا النَّفسُ على وَجَلٍ واشرأ بَّ منها الجيدُ مُفَاتـنًا وطالَ انتظارُها فلم تَدْرِ أساعيـةٌ أم مطلوبـةٌ أراغـبَـةٌ أم مَـنْسيَّةٌ وجاءها اللّحْظُ بهمسة ذَهَبَـتْ شدّتُـها كأنْ لم تكن وتسارعت منها الخُـطَى تُـسَابـقُ المناديَ ومـا هي إلا ومْضـةُ البرق إذ تَـتَـكَـشَّـفُ، تتهـاوَى، تُسْلمُ النَّفسَ ومـا بـالنّفس ، تتعـرّى ولا يُـخْجلُهَا العُـرْيُ. فما أسرع أن تَـتَعَـرَّى التي اشْتَـدَّتْ واستمسكَتْ . مـا أعْجَـلَ أن تتكشّفَ ، تتهـاوَى . وإذا تجلَّ المغمـورُ الـذي كـان على الأنثى فما أعْسَـرَ أن يـَحْـتَجبَ ومـا أبعـد أن يَـتَـوَارَى ، تَذهبُ الأزمان وتأتي الـدهور وتتكاثف جبـال الأغطية وفي لحظـةٍ ، في همسةٍ ، بغمزة الطّرف ـ إذا شاء سيّدُها ـ تَسيلُ الجبالُ و الأقنعةُ

وشَامِخُ الرّواسي كأنها الثّلجُ فَاجَأهُ لَـهيبٌ شُوَاظٌ .

أيتها اللغة ، أسراري ومكامني ، ماذا فعلت بالذي قلتُ إليك ، هل تلوته وهل رتّلت حـرفَهُ ترتيلا أم هل قلت : أصابـَه الشعرُ . ضُمّيـه إلى صدرك ضَمّـةً تُـذيب مـدَادَهُ فيتسلّـلُ إلى القلب الرفيـق بين أحناء الدّفء الوديع مُطـلاًّ على الجَمْر تَـفْنَى الأكوانُ ولا تَـخْبُو نيرانُـه .

أيتهـا الكلماتُ : متَى تـوكّلـت على الحيّ الـذي لا يمـوتُ وسمّيت باسم ربّ العزة و الملكوت وطويت المكتوبَ ودعوت بالقهر والجبروت؟

إن للكلام جَـلالا وعليه مهـابةً كعظمـة السلطان يَـرْكَبُ الراحلـةَ يَـخترق الـمفازات ويَـجـنُّ عليه الليلُ فلا يتزوّدُ ولا ينـام حتى يكون له صـوت بـه بُحّـةٌ تعتـريها حَـشْرَجَةٌ فَـيَتَـأبّى ثم يتـألّه ثـمّ تـرتـجف شفتَـاهُ مـردّدا :

المدادُ عَصِـيٌّ و اليراعُ على الإبـاء وينبلج من ثغرهـا النورُ وتسأل مَنْ أتـاهـا : كيـف أنتَ قبل أن تـراني . فيقـولْ : كما كنت أكـونْ ، أسعـارٌ ومُهـورْ ، أبتـاعُ من الـهوَى وأبيـعْ ، صَفَقاتٌ بـلا خُسرانْ ، وكلٌّ بـائعٌ ويشتري ، وربّـاتُ الخدورْ . ومن الكلام مـا سَحَـرْ ، ومن السحر ألـوانٌ تَصْدُقُ وألـوانٌ تُـدَاري ، ويجلو الشعرُ أستـارَ النفوسْ ، حدّثـيني يـا ابنةَ النّور عن سـرّ البلاءْ ، واكتُمي السّرَّ عن مـاضٍ تَـولّـى ، واصْـدَحي بما هو آتْ . قالتْ : أأنساكَ يوما فلن أراكْ . قالْ : هكذا قالت حوّاءْ ، وهكذا

روى الرّواةُ عنها ، كلّ البنـات كأمّهنْ ، إلا التي بأنيس الروح قد آمنتْ .
قالتْ : بل سأتلو صفائحَ الذكرى وأقولْ : دَعْ مَنْ تَـلاَ وهات ما هو آتْ ،
وسيَـقْـدِمُ الضيفُ وتُرْصَدُ الآهـــاتْ . قـال : فَلِـمَ اللفـظ علـى اللســان
و الصدر قـد ضاق بها لا يطـاقْ . قالتْ : أحبّـكَ حُبَّيْــنْ ، حبَّ الهوى
وحبّا على قَـدَرِي، لعبتُ له ولا أرتوي وقلتُ : سحابٌ عـابرٌ وغيثٌ لا
يــنـــي . فـامتـدتْ السماءُ وتَـقاطَــرَ الصَّحْـــوُ و انفجـر الغمامْ . قـالْ :
وشأنُـك مع الذين عـرفوك . قالت : كنتُ أصادفُ الـرجالَ ولا رجالْ ،
أتَـمَـلَّـى ويتســاردونْ ، أحبُّ ألاّ يأتـيَ الرجلُ فيأتونْ ، وكنتُ في نفسي
أتلهَّى وأقـولُ للـواحـد منهم : سأنســاكَ مـا ذَكَـرْتَـني ، وسألقـاكَ مـا
نسيتَـني ، أفـَـلاَ تَـفْعَلُ . قالْ : كذا كُــنَّ مَعي ، تشتدُّ الأبيـّةالنَّـفُورُ يوما
ثم إذا هي عـهْــنٌ مَـنْفُوثٌ ، يطيبُ فيه المقامُ و الـوزنُ خفيفٌ ، فَتَـزَّاورُ
النفسُ عنهـا ، ويطـول الجهد يُـدَافعهـا ، ويشتـدُّ العَـنَاءْ . و الـــمَـَـلَلْ .
وروائح الجسدْ . حتـى لَـقيتُك . قـالت : لقيتَ الشعـرَ ومُستلينَ الكلامْ .
قال : وَفعلُ الفاعل يَـحْفرُ الأجـرام َخُـدُودًا فتسيلُ النفس سَـيَلاَنَ الهَوَى
كأنها الغيثُ الرَّذَاذْ . قالت : أفلا تخشى الفراقْ . قال : يوم لا تتلهفينْ ولا
تتـوجّعينْ ويـوم تخبـو في ديوانـــك نيرانُ كسرى . قـالتْ : قلبٌ وَجلٌ
ومَعَاصـرُ من دمي . قالْ : هو العشقُ وهو الرَّدَى . قالتْ : فأنـا الفانيـهْ .
قالْ : حملتُ لَـك حـمْلاً وشَقَّـقْتُ عليك ثم رفعتُ الـمَرافِعَ وسافرتُ .



لَـوْحٌ

أيهّا المتكلّمونْ. أيها السـامعونْ. يـا سُعَاةَ البريـدْ. الكلماتُ لعبتي. وغوايتي. أعابثُ بها الأنثى. وأقـول لها إني مُعابثٌ. فَـتَـقبل عبثي. ثم تُـدْمِنُ عبثي. وَلاَ أنْـفَـكُّ أقـول لها إني أرتّبُ الكلماتْ. وأسـوّي مَفَـاتنَ اللفظْ. ولاشيءَ من وراء اللفظْ. ولا تفتأ تُـمْعِنُ في قَبول اللفظْ. وحبّ اللفظْ. حتى تَـنْسَى صـاحـب اللفظْ. وإذا أنـا بـالكلماتْ. آتي إلى ذات الجمالْ. وأقـولْ. وقعتُ في شراك لفظي. فصـدّقـتُ نفسي. فلست بعابث. فتُقسِمُ هي أنيّ عابثٌ. وإذا اللغة بصاحبها. وإذا اللفظ بقائله. واصفٌ وموصوفْ. كفاتـن ومفتـونْ.

أقولُ مسائلا. هل أنا آثمٌ. فتقـولُ. لا. وجلال اللفظ. أقول. لا أعرف الهوى. تقول. لذيذٌ كلامُكَ. جميلٌ خداعُكَ. فاتنٌ يُـغـري.

وتمضي الأيّامُ. وأطلبُ إجازتي. وأمْسكُ. فتبـدأ الرحلةُ الأخرى. مَقاماتٌ. شَدْوٌ رخيمٌ. أستنفـرُ ثُـمَـالَـةَ من كأس العزّة. فلا أفلحُ في دحـر الكلماتْ. أصيبُ مَـقاتلَ الإباء. فتترامى. أسخـو بفُتَـات اللفظ. مهترئا لَـوْثَـتُـهُ الشّـفَاهُ. متراخيًا بَـلَّلَـهُ الرّضابُ. وأمضـي.

ويوما . مَلَلْتُ الكلماتْ . فقصدتُ طبيبَ الذاكرَهْ . وطلبتُ الدواءَ للـذاكرَهْ . فأعطـاني وصفـةً : فتّاكـةً . وصفـةً لمحـو الذاكـرَهْ . ارْتحتُ من الذاكرَهْ . غيرَ شيء واحد . ظلَّ في الذاكرَهْ . أنَّ طَبيـبـيَ قد عَـرَفَ يومًا . بعـد مُصَابـه في حُـبّـه . كيف تـُمْحَى الـذّاكرَهْ . ولم يَـنْسَ . منـذُ ذاكَ اليومِ . مَـوْتَ الذّاكـرَهْ .

أخـذتُ قـامـوسي . وكلَّ معـاجمي . وسـافـرتُ بها بعـد العـلاج . مستجمًّـا . في غيابِ الـذاكرَهْ . ويومًا . و الشتـاءُ بثلجـه . في أوجِ عزّتـه . ونحن في غـرفـة . على الهضـاب شاهقـة . من جبـال الأرض . وفي تـلال السماءْ . ونوافذُ البلّور تَـحْجُـبُـنَا . ودفءُ البيت نَصْـنَعُـهُ . بالثَّلْجِ نَـهْـزَأ . بالأمطارِ . بالسُّحُبِ . نَـرْنُـو إلى الكونِ . نرنو إلى كَبِدِ السّماءْ . ونقول . في صمتٍ . لا شيءَ بعـد اليـومِ يَـفْصلنا . إني . ولغتي . في الـمَـنْأى . القَصِـيِّ . ولا عُتِـيَّ من الأنواء يـَقترِبُ .

أيتها الكلماتْ .

ليس فضيحةً حُـبّي . ليسَ فضيحةً عشقي و شَـبَـقي . حين أخلو . حين أرْكَـنُ . حينَ أغـدو . وحين أروحْ . على لساني . وبين الشفـاهْ . أنت وَحْـدَكَ فضيحتي .

ردّت فقالت :

لا تُـفْـشِ سِـرّي . سِـرَّ حبّي . سرَّ لَـهَفي . لا تمشِ على حافتي . لا

تَبُحْ بمكَامنِي . بِجَسَدي . أنتَ جسْرِي ومَسَالكي .

لن أقوَل شيئا . لن أبوحَ . فلستُ بخائنٍ . هل تَأْذَنينَ بهمسةٍ . أيا لغتي . الصَّيفَ ضَيَّعْت الجَسَدْ . الصّيفَ ضيّعت الجُسُورْ .

لو جئتُك كاملاً . ما أحْبَبْتني . تَمّمي التّمثالَ . ثم قولي . صَنيعتي . أنا الفنّانة . أتيتُ إلى اللوحة المُثْلَى . فَعَبَدْتُّها . ولّما استقامتْ . بعد لأي وشدّة . وحسبتُ أنّي الصّانعَهْ . وظننتُ أنيّ المالكَهْ . استوى الماءُ و التمثالَ وريشتي . ووجدتُّني . أسيرةَ فنّي . وإلهامي . بلغتُ به النُّهَى . بالشعرِ . روّضتُهُ . فيا عَجَبًا . كيف استقام اللفظُ . بِيَد النَّحَّات . كَمَعَاول النَّقْش . كَمِبْضَعِ الجَرَّاح . وإذا أنا . في الفنّ هائمةٌ . أحببتُ فنّي . فَعَبَدتُّهُ . نَذرتُ له عُمْري . وأحللتُ له زمني . فلا فَقَدتُّكَ يازمني . ولا حُرِمْتُكَ أيَا فنّي و يا أمَلي .



صدًى

أيها الشّعرُ. أيتها الحروفُ . أيا كلماتي . سيأتيكُنَّ يومًا . من يُنَظّفُ القصيدَهْ. من يَصقُلُ البَرْديَّ. من يطهّر سَنَمَ الأقصاب. فقد ضاع مني قلمي الذّهبيُّ. ضاع منّي. أضعتُه. أتلفتُ نُسْغَهُ. لوّثتُ مدَادَهُ. فعدتُ إلى اللّوحِ . يوم كنتُ كالأطفال. أخُطُّ وأمْحُو. ويَدي مُلَطّخَةٌ . بالكلْسِ بالطّينِ بالأغبارِ. ومؤدّبي كالعرّاف يقول مستبشرًا. ستَنجح يا ولدي. ستَنْجَحُ يا ولدي.

رُحماكَ يا أبتي. علّمْتَني. وظننتَ أنّي ناجحٌ. فأغدقتَ بالإكرامِ. وجودُكَ لا ينتهي . وأعطيْتَ مؤدّبي. كلَّ السّخاء. وجئتَ للعرّاف. هازئا ومصدّقا. وعانقتَ قولاً قد بَدَا. كالنُّبُوّة صالحًا. أنَّ ابنَكَ ناجحٌ. فحمدًا . لربّ العالمينَ. أنّك غائبٌ.

كنتُ كالطائرِ. يلازم الأقفاصَ. حتى أحَبَّهَا. ويوما. خرجتُ محلّقًا. وهجرتُ المساجنَ. وودّعتُ مساكني. وقلتُ. بلا عودة. فالأفقُ رحبٌ. وطلقٌ. ومشاعري في عُرسها. زاهيةٌ. بيضاءُ. بأجنحة خفّاقة. وركبتُ البحرَ. بحرَ الكلامِ. وأمسكتُ كالملاّح راية مقودي.

وأطلقتُ إنذارا. كأصوات المَدافعِ حَلَّ أمامَها. ضيفٌ أميرٌ. تُدوّي لَـهُ. بالأفراحِ صارخةً. ومن لُـجَّة الأبحار. تَسَلَّلَ مَـرْكَبي. على جَـنَـبَاتِ الشعرِ. وحذوَ صخورِه. هَبَّتْ رياحٌ. واستشاط الموجُ. فالشّراع ممزَّقٌ. والعوامد فُـرِّطَتْ. و الرّواسي تَـزَلْزَلُ. على الضّفاف. تكسَّـرَ زورقي. سأرثيكَ يازورقي. سأذْكُـرُ ما حَييتُ سعادةً. قلتُ يوما للوَرَى. خذوا الدنيا. وهاتوا زورقي.

سأرثيكَ يا أبتي. سأرثي مؤدّبي. سأرثيكِ يا نفسُ. بلوعة. حَرَّى. أنّـي لم أصُنْ. شراعا سابحًا. رحماكَ يا أبتي. فطفلكَ راسبٌ. في البحرِ. وفي امتحان اللفظ. طفلكَ راسـبٌ. قد حاولَ مـرةً. ألاّ يكونَ مكـابراً. تآنَـسَ بـاللّفظ. وقـال لعلّني. أكـونُ مـلاّحًـا على ميـاه النّهـر. قبلَ الـمُحيطِ. محبًّا لا يَـنـي. فأحمالُ أرضي. أنـاخت أظْـهُرِي. رحماكَ يـا أبتي. فطفلُـكَ راسبٌ.

قد كساني اللفظُ يـوما. لوحةً. فنّـيّةً. من غـابرِ الأحلامِ. جاءت رسـومُها. بعطـورِ صـوتٍ فـاتنٍ. فسوّيتُهـا. ونقشتُ لها الألـواحَ. من أنْـدلُسٍ. وَوَشحتُ لها الأليـافَ. وأعْلَنْتُـهَا. أسطورةً ذهبيّـةً. وإذ أنا ساجدٌ. لها أنحني. نَـزَّ منّي قلمي. فَـسَـرَى منه المدادُ. فَلَطَّخَ ثَـوْبَـهَا. وراح الفَـنُّ. إلى الإلاه. منّي يشتكي. ثم أرسل لأبي. رسالةً مطويّةً. قد خَـطَّ فيها : إنَّ ابْـنَـكَ راسبٌ.

أنـا الحرف الطليقُ. أنـا القصيـدة الحرَّى. أنـا اللفظ و السحـرُ. في موكب الشّعرِ. تألّـقَ مَولِـدِي. ثم ضاعت مُهجتي. فتَـاهَ نجمي.

تأوّهَ الشعـرُ يومـا. واشتكى. متـوجّعا بحنينـه. يَذرف الـدمعَ. وللقصيد أنينُـهُ. كمهاجـرٍ. وكما الغريبِ. فـالأشجانُ داعيـةٌ. و النفس تهفو إلى الأوطانِ. أوّاهُ ياقَـدَرِي. إني أنا الشّعرُ الذي. قـد صارمتيّمًـا. قـد بات معـذّبًـا. بـلا إلفٍ ولا أملٍ. من ذا الذي بعـد اليوم يقـولني. رحماك يـا قائلـي. فأنـا اليتيمُ. منـذ تـركتَنِي. وأنـا الكسيرُ. يـوم ضـاع القَـلَمُ.



رَجْعٌ

جرّبتُ دَهْـرًا في السّباحة خُطْوَتـي . ونزلتُ قاعَ البحرِ . كمحترفٍ للصّيـدِ . كما الغـوّاصِ . يكـاشف الــمُرجان وهـو أليفُــهُ . يـداعب الأصـدافَ وهي خصيمـةٌ . ضغطـتٌّ على الأنفـاسِ . ولُـذْتُ بـالأعماق مناديـا . من بحرٍ إلى نَـهَرٍ . في لُـجَجِ الألفـاظِ . وهي عنيدةٌ . وصحتُ في داخلي . هذا هـو النهرُ المحيطُ . وفيما أنا بين يأسٍ ويَـقْظَة . إذا بالفَيْضِ . فيض السَّماءْ . يجودُ ويسخـو . تهاطلت الأصـدافُ . وجـاءت محارةٌ . من باطن الألفـاظ . كلؤلـؤة الياقـوت . لونُـها لا يـوصَفُ . ألماسةٌ في الماء . كخـاتَمِ الشّمسِ . من سـالف الأعماق . يَـبْـزُغُ . نـورُهـا . كـالكـوكب السّيّار . يعرفها الغوّاصُ . فينسَى ألَـمًا . وتنطلق الأنفاسُ . وهو بمائه . وفاز بـالسّبق . فاز الذي قـد طوى عُمُـرًا . كاليائسِ . صـامتا لا يكشف . وقال . هذا هو الوجد . هذا هو اللفظُ . فلن أنساك يا قلمي . وخَطَّ لفظا . وصـاغ حرفـا . وراح يَـنْظم المنثـورَ . ومن أعماق بحرٍ خـالدٍ . يَستخـرج الأوزانَ . وأصبحَ صـائغـا . يسـوّي القلائدَ . ليَـزينَ بها . جيـدًا بحسنــه ظالـمًـا . مَفـاتنُهُ الوَجَـنَاتُ . إذا رَمَتْ باللّحظ . أصـابت قيْصَـرًا . ولّما

استوَى الماءُ. وجاء مَـحَارُهُ. قال قائلهم. درسُ السّباحة. أبدا لا ينتهي. عليكَ بالغوصِ. ألْـفًا وألفًـا. فلســتَ بماهرٍ. ولستَ بصائغٍ. لا يَـهْـزِمُ المرءَ إلاّ لسانُـهُ. ونـادى المنادي. أيا أيهّا الطفل. في الدهـر. وفي النهر. ومن جديد. إنك راسبٌ.

رحماك يـا أبتي. أوصيْتَني. وأُنْـسيتُ وصيّتَكْ. فقد قلـتَ يومـا. الحبُّ كالشعرِ. و الشعر من فتنة الألفاظ. و الكلمات. إذا تعرّى سرُّها. زجاجةٌ تنكسرُ. فالآنَ عرفتُها. والآنَ فاتَ أوانُـها. فَسَأُفْشِـي سـرَّهَا. وأقولُـــها. لكلِّ طفلٍ بــاسمٍ. لكلِّ فتـــًى نـاظمٍ. لكلِّ كهلٍ ناثـــرٍ. سأقولُـها. وأقولُ بعدَها. رحماك يا أبتي. إنَّ ابنك راسبٌ.

وفي ليلـةٍ. من ليالي القَــدَرِ. قد دعـا لي ملَــكٌ بدعـوة الخيرِ. أنَّى جئْـتَهَا. فـاستجابَ الْـقَـدَرُ. فألفَ حمد يـومها. بَـلَغْتُ ذُرَى المجـد قولاً وفتنةً. وأقسمتُ للشعـرِ. لن أنساك يا قَسَمي. وجئتُ القصيدةَ. سـاعيا ومدبــرًا. وكـان لي في الإيقاعِ مَـوجـدةٌ. واجتَـزتُ في ليلٍ. وبي أملٌ. اختبـارَ الوزن. وتـلافيفَ الـمُنَى. وأذَاعَ الشعـرُ عنّي سـرَّهُ. قـد خَيَّبَ الظَّنَّ. فليس بناجحٍ. فيا أيها الشعر الرحيمُ. مغفرةً. وسماحةً. فاقبَلْ من فَتًى تَـائـه. بَـوْحًا جديدًا. يقول. ويَـهمسُ. سامحوني. فلستُ بشاعرٍ. ثم هَاكُمْ قولَــةً. سرًّا دفينًا. طالما يتكـرّر. سأظلُّ ما حييتُ على الـوفاءْ. للصّـورة المثلى. لألف ذكر. سأظلُّ بعـد اليومِ. كَعَبْـدٍ. عَاشقٍ للضّـادِ.

معشوقُـهُ الحرفُ. وهو طائـعُـهُ.

وأقبلتُ على الـدرس منتبهًـا. طـالبـا حـذقَ السّبـاحـة. مجتهـدًا. ومعاودًا. وبي في الفَـلاَحِ أُمْـنيَّةٌ. أنْ أبْعَثَ. إلى عـالم الأرواحِ. برقيَّـةً. أقول فيهـا. رحماكَ يا أبتي. فطفلكَ ناجحٌ. ونـزلتُ قاعَ النهر مجـــدَّدًا. أفتّشُ في المحارِ. كـاشفًا سرَّ اللآلــي. فإذا أنـا. كَسَعيد الحظ أُمسكها. جـوهرةً. ألْـمَاسَةً. نُـوريَّةً. أداعبُ الأصـدافَ من حـولها. وأومىءُ لها باللّحظ. كفارسٍ في الغوصِ ليس يهابُه. إذا بزلزالٍ. يَـهُـدُّ الكونَ. كونَ لآلـئي. فَـقُـنْـبُلَـةٌ قد انفجرتْ. من بقايـا الحرب. مزَّقَتْ أوصالَ طفلٍ حالـــمٍ. بَـدَّدَتْ أشـلاءَهُ. وفـرقَعَتْ في الشعرِ شَظيَّـــةً. فَـتـاهَ الـوزنُ. وضاع القلمُ.

هل تُبعَثُ الأرواح بعدَ ضَياَعهَـا. هل تُولَدُ الألفاظُ بعـد مَـمَـاتهَا. هل تَـحْملُ الأرحامُ بعد سُبـاتها. كيف السّبيل إلى عَصًا سحريَّـــة. تحوّلُ الألفـاظَ زَهْرًا. تغيـّرُ الألحانَ منْ شُؤْمٍ ومن نَحَسٍ. فيأتي طـالعُ اليُمْنِ. وتأتي البركـاتُ. والعَـرّافُ. والتّـلاواتُ. وعطـرُ المكـرُمـات. وتهاليلُ الليلِ. وتسـابيـحُ الضُّحَى. وآيَـةُ الكُـرسيّ. وسـدرةُ المنتهى. و الحزبُ اللّطيفُ. والأختامُ أدعيَةٌ. والنَّـفّاثاتُ في العُـقَد. راحَتْ تَـضيعُ. وزال الإفكُ. وانبلجَتْ. أشعّةُ النّورِ. وعندصياحِ الديك. عند السَّحَرْ. صاح مؤذّنـي. هذا هو الفجرُ. وبعدَ الفجرِ. صبحٌ جديدْ.



نَسْخٌ

قلتُ مُفَاتِحًا . هل تأذنينَ لي . أيا لغتي . أن آخُذَ منك إجازةً . وأن أبْحِرَ في محيط الوراثة . حيث الهندسةُ الجديدهْ . حتى أتقنَ حديثَ الاستنساخِ . أنتقي منكِ الحَيَامِلَ . والجِنَاتِ . وأثَبِّتُ الخلايا في أنابيبِ المَخَابرِ فسيأتي عليكِ يومُ النّسيانْ . يومُ افْتقادِ الذاكرهْ . وعندها سأبعثُ المَلاَقِحَ . من سُباتها . وسَأنْفُخُ فيها حرارةً . بعد الجماد . وسأستنسخُ من كلماتكِ الكلماتْ . وسأولّدُ من صُوَرِكِ الصُّوَرْ . فاني أخافُ عليكِ . بتُّ أنا أخافُ عليكِ . من نفسكِ . أنا أخاف عليكِ . على نفسكِ أنا وأنت نخاف عليكِ .

قالت .

هناكَ من بعيدْ . على فراش الذّكرياتْ . بين فُحوصٍ وكُشوفْ . واستوى البقاءْ . ومقاديرُ الرحيلْ . مسكتُ بنفسي . فوجدتُّ العزمَ حديدًا . فتحتُ نواظري . وحدّقتَ في الوجود . فرأيتُ مسافاتٍ تقاربَتْ . فاختَزَلْتُهَا . واعتصرتُ رحيقَهَا . جمرةٌ بين نارين . يومَ نطقتُ . يوم أحببتُ لغتي . يوم خِلْتُ أن الحبَّ قد وُئِدَ . ليلةً . بُعثَ

الوليدُ جـديـدا .

أجَبْتُ . ثم طَلبتُ قلما . وصحيفةً . ولم يمنعوني . فانثال لفظٌ . دَمًـا قَرَاحًا . كأنه الأسى . تتقاطر مقلتي . بدأتُ . وماكنت أعلمُ أين سأنتهي .

طلبتُ الرحيلَ .

فحضرتــنـي .

طلبتُ الشهادةَ .

فحضرتـني .

سألتُ نفسي . اليومَ أحببتُ الحياةَ . أحببتُ سوالفَ الأزمان .

همستُ بَـاسـمًـا .

يَا لُغَـتِي . يا آسـرَهْ . مُستبـدّ طيفُك . في الرّكنِ . في البيتِ . طيفُك . على الورق وبين السطورِ وفي المحافظ . طيفُك . في السوقِ . وعلى المآذنِ . في الرُّبَـى . وعلى الشوطىء . يلاحقني . طيفُك . أمْسكيه وروّضي عنادَهُ . فــالطّيفُ طيفُك . إذا غضبتُ . فهــو يبتســمُ . طيفُك . وإذا انشرحتُ . تقطّبَتْ أهـدابُـهُ . طيفُك . أمسكيـه سـاعـةً . أو بعضَ وقت . إني أسـوّي أغـنـيـّـةً . وأهديكِ لحنًـا . شاديًـا . كلماتُـهُ . الطّيفُ طيفُك .

قالت .

هل جلستَ يومـا على الضّفاف بعدَ الغُـروبِ و الأضواءُ تتسلّلُ بين حُجُبِ الظـلامِ تخترقِ الضَّـبَابَ لتستقرَّعلى صفـائح الماء وهي هـادئةٌ لا

يـداعبُهـــا إلا هفيفُ النسيمِ تـرتعش لـــه ارتعـاشـةَ قلـبِ الحبيب ينـادي بخَـفَـقَانـه أناملَ الطّيف القَصـيّ أن ارْسُـمْ بريشة الفنّ لوحـةَ الغَزَل على صدري فيهـا الـمَراكبُ تختـالُ على الماء راقصـةً بشِـراعِهَا الأبيضِ الفتّان كـأنـه ينادي شاهقات الـمَبَانـي :

بوركتِ يا لُـغَـتِي .



هَاءُ السَّكْت

هَـلْ أتَـاكَ حديثُ الـمَـرْأة
تُـقَـدّمُ الجَسَدَ قُربانًا إلى الحبّ
يَـْصطَـلـي بِـنَـارِ النّـدَم .

أيتها اللّغةُ . تَـمَنَّعي . أهلاً بك . تمرَّدي . اغْرفـي من بحور الزَّهْو . أهلاً بك . امْكُري . أمْعنـي كَيْدًا . غيظيني وراوغي . اطْعَني الظهرَ بِـنبَال الشّعْـرِ . فسِهامُ اللفظ حيمَـةٌ . وتفنَّـني . اعزفي على نبض القلـوب . ثم كُوني . فـاتنةً . خـائنةً . فأهـلاً بك . شيئًا واحـدًا . لا تفعليه . فللـدَّلاَلَة حُـرمـةٌ . وللمـدارك سلطـةٌ . للعقلِ كما للحبّ . جـلالٌ ومَهـابـةٌ . لا تتناقضي . لا تتردّدي . لا تجُاملي من صانعوك . قد شَوّهُوك . حينَ صرْت كَدُمْيَـة . تُسَوَّى بك الصَّفَقَاتُ . كإحـدَى اللَّهَجَات . تَدحرجْت من سَماء النُّبْلِ . حيـثُ وَضعتُك . تَـمرَّغْت في الأوحــــال في الطّين المُبَلَّل . فَتَـدَنَّسَتْ . أزهارُ تاجـك . لاَ تَـتَـنَاقَضِي . قَسَماً بك . يومَ كنت فَصيحَةً . ناصعةَ البياضِ . محجوبـةً . قَسَمًـا بـالشّعْرِ . بآياتِ النُّهَى . بالكلمات . لو

جئت القَطيعَـةَ مَـا نَقمْتُ عليك. خيـانـةُ المعنَى كَهجْـرَان حُبٍّ. قـدرةٌ وشجاعةٌ. وتَنـاقُضُ الأهواء مَذَلّةٌ ومَهانَـةٌ. لا تتنـاقضي. برَبِّ الشّعرِ. لا تتملّقي. أسماءُ الأضـداد لَعينَـةٌ. و السُّهَى. حَقْلٌ مِـنَ الألغـامِ. لا تتفكّكي. لا تتمزَّقي. فلا أهْلاً قَـدِمْت. لا تتناقضي. ولا سهلا حَلَلْت. لا تَـتَوَرَّطي. جَسَدُكِ المسكينُ. بينَ يـومٍ و ليلـة. وهبتـةفي الدُّجَـى. هديَّـةً مفضوحـةً. للَّيْـلِ السّعيـد. وعنـدَ الضُّحَى. وَهَبْت الخليلَ فُتَاتَـهُ. منهوكَ القُوَى. فَاترَ الأشلاء. قد خَبَتْ أوْهَاجُهُ. قَدَّمْـتـه. كَبْشَ الْـفداء. لـوَجْـد واهـمٍ. كَـقصيدة الزَّيف. في بَـدْء اللّقاءْ. كَمَـادحِ السّلطان. يُمَجّـدُ الفُصْحَـى. عَـلَـى مـنْبَـرِالأشعار. وهو مُـرَاوِغٌ. دَيْدَنُـهُ التَّـلْهيجُ. بـلا خَجَـلٍ. يُسكّـنُ الحَـركات. صَفيـقَ الحَيَـاءْ. كَـغَضْبَـة الأقدار. على فَـلْـذَة الأكباد.

أيتها اللّغـةُ.

أيتها الفُصْـحَـى.

لاَ تَـنْسَـيْ وَصيـّتـي.

تَـجُوعُ الحُـرَّةُ ولا تأكُـلُ بِثَـدْيَـيْهَـا.

تَـفنَى الأبِـيَّـةُ وَلاَ تُضَحّـي بِـحُـبِّـهَا.

قَافِيَةٌ

هَا أَنَّـي
وفي البَـدء ما رُمْـتُ إلا ترويضَ لسانـي
قد رَوّضتَ قلبـي وجنـانـي
ها أنـا محـبٌّ عـاشـقٌ
ها أنا مفتـونٌ بضَـادي ولسـاني
إنيّ أشهـد أنّى الأسيـرُ
وآسـري كلماتـي
بحبٍّ
قـد دخلتُ إليـكِ
وبشـرف
أُودِّعُـكَ
فلَـن أعُـودَ
أيتها القـافيـةُ، أيتها القصيدةُ، قَـسَمًـا بالشّـعـرِ :
لأنْت
طَـالِـقٌ
طَـالِـقٌ
طَـالِـقٌ .



للمؤلف

الأسلوبية و الأسلوب :

ـ الدار العربية للكتاب ، تونس ط 1 : 1977، ط 2 : 1982 ، ط 3 : 1988

ـ دار الصباح ، القاهرة ـ الكويت ، ط 4 : 1993

التفكير اللساني في الحضارة العربية :

ـ الدار العربية للكتاب ، تونس ، ط 1 : 1981 ، ط 2 : 1986

قراءات مع الشابي و المتنبي والجاحظ وابن خلدون

ـ الشركة التونسية للتوزيع ، ط 1 : 1981، ط 2 : 1984 ، ط 3 : 1989

ـ دار الصباح ، القاهرة ـ الكويت ، ط 4 : 1993 .

النقد و الحداثة :

ـ دار الطليعة ، بيروت ، ط 1 : 1983

ـ دار أمية ، تونس ، ط 2 : 1989

قاموس اللسانيات (عربي فرنسي ـ فرنسي عربي) مع مقدمة في علم المصطلح

ـ الدار العربية للكتاب ، تونس ، 1984

اللسانيات من خلال النصوص

ـ الدار التونسية للنشر ، ط 1 : 1984 ، ط 2 : 1986

الشرط في القرآن على نهج اللسانيات الوصفية

ـ الدار العربية للكتاب ، تونس ، 1985

(بمعية د. محمد الهادي الطرابلسي)

اللسانيات وأسسها المعرفية

ـ الدار التونسية للنشر ، 1986

النظرية اللسانية والشعرية في التراث العربي من خلال النصوص

ـ الدار التونسية للنشر، 1988
(بمعية د. عبد القادر المهيري ود. حمادي صمود)

مراجع اللسانيات

ـ الدار العربية للكتاب، تونس، 1989

مراجع النقد الحديث

ـ الدار العربية للكتاب، تونس، 1989

قضية البنيوية: دراسة ونماذج

ـ ط 1 : دار أمية، تونس، 1991
ـ ط 2 : دار الجنوب، تونس، 1995

قضايا في العلم اللغوي

ـ الدار التونسية للنشر، 1994

مساءلات في الأدب واللغة

ـ مؤسسة اليمامة، الرياض، 1994

المصطلح النقدي

ـ مؤسسات بنعبد الله، تونس، 1994

في آليات النقد الأدبي

ـ دار الجنوب، تونس، 1994

أبو القاسم الشابي في ميزان النقد الحديث

ـ مؤسسات بنعبد الله، تونس، 1996

مباحث تأسيسية في اللسانيات

ـ مؤسسات بنعبد الله، تونس، 1997



تمّ طبع هذا الكتاب
بمطبعة كوتيب تونس الشرقية
مارس ١٩٩٨







أيتها اللغة هل تأذنينَ بإفشاء سرّ من أسرارك :

يومًا ركّبْتُ بك قولا فانساق بيَ الطّيشُ بالألفاظ فلم أدْرِ ما كنتُ أعْنيه ، وأمعنتُ . فتزيّنَتْ صورةٌ ولم أفهم لها معنًى . رَدّدتُ القول فاستَطَبْتُه . وعاودتُ فانثال ليَ فيض من الدلالات . وأشَعْتُ . فَقَبِلُوا واستراحوا. ثم سلكوا في النّشوة كلّ مسلك . فأغراني عَبَثُ الوليد. فَظَلّتْ معي رمنا . وأردتُ توبةً واستغفرتُ لديك وَهَمَمْتُ أن أعلن الذّنب وأن أصَّعَّدَ على منبر الاعتراف أُطَهِّرُ النفس من أعلاقها وأغسل بالبوح إثما ظلمتُك به . وأنا بين عزم وانثناءٍ سمعتُكِ وسمعتُ مَنْ حولَك تُهَاتِفينَ ويُهاتفون :

ليس من عبث ما صنعتَ ، إنما العبث ما ستصنع ، فلا تكابرْ . فلقد نَطَقَتْ على لسانكَ اللغةُ أرسلتْ إليكَ واحدا من جنودها وهم نَفَرٌ من الجنّ قالوا آمنّا فما هم بملحدين ، فلا تستعذْ بالله من طيفٍ ألَمَّ بكَ .

ومن يومها تزيّنتْ لي فتنةُ الكَلِمَات .



ر دم ك 9973707543

السعر : 3.900 د.